بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق
محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

هوية الكتاب

الكتاب: إلى خطباء المنبر الحسيني

المؤلف: سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي(دام ظله)

الطبعة:

الناشر: دار البصائر للثقافة والنشر

دار محبان الحسين عليه السلام، جمهورية إيران الإسلامية، قم المقدسة، شارع انقلاب، فرع ٤٧، رقم ٥.

إلى خطباء المنبر الحسيني

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج

السيد محمد تقي المدرسي دام ظله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة البدء

المراجع الكرام والعلماء الصادقون هم – بعد الأئمة الأطهار عليهم السلام مَنْ يتحسّسون آلام الأمة وأمالها، ويتحملون مسؤولية التوجيه الثقافي لجماهير الأمة ولطلائعها وقياداتها.

فالأمة بلا توجيه ثقافي مركَّز وأصيل تبقى عرضة لغزو التيارات المنحرفة، وللسقوط في فخاخ الضلال، وتصبح فريسةً لشياطين الانس والجن.

وكلما تحمّل الفقهاء والمراجع هذه المسؤولية بشكل أفضل، وتحدثوا الى الناس عامة، والى طلائع الأمة وقياداتها بشكل خاص عن واجباتهم ووظائفهم في الظروف المختلفة، فإن الأخطار تبتعد عنا وعن مجتمعاتنا، ونقترب الى الفلاح والنصر والتقدم.

وسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) هو من أبرز المراجع العظام في تحمل هذه المسؤولية، وتوجيه الأمة وقياداتها نحو واجباتهم في المناسبات المختلفة.

وفي مجال التوجيه الثقافي يشكل الخطباء الكرام والمبلِّغون وأصحاب المنابر الحسينية أحد هم مراكز التوجيه والتثقيف، ولذلك فإن سماحة المرجع المدرسي (حفظه الله) يهتم قُبيل شهر محرم الحرام في كل عام – بل

وفي كل مناسبة – بإغناء هذه الشريحة من طلائع الأمة بالتحليل الصحيح للاوضاع السائدة، وبيان واجباتهم ووظائفهم في مواجهة التحديات، والاسلوب الأمثل لجعل المنبر الديني بشكل عام، والمنبر الحسيني بشكل خاص، قناة سليمة وفعّالة في توجيه الجماهير في الاتجاه الرسالي الصحيح.

وفي هذا الكتاب حاول بعض الأخوة الكرام في مكتب المرجعية جمع وصايا سماحة السيد المرجع المدرسي (حفظه الله) للخطباء الافاضل في السنوات الماضية، لتكون نبراساً للأخوة المبلغين وخطباء المنبر الحسيني ونحن على أبواب شهر محرم الحرام لعام ١٤٤١هـ.

خاصة وأن هذا الموسم من كل عام هو – في الواقع – موسم التوجيه الثقافي الرسالي للأمة، حيث تتوجه المجتمعات الموالية لأهل البيت عليهم السلام الى احياء ذكرى النهضة الحسينية، والاستلهام من مبادئها ومن نهج أبي عبد الله الحسين عليه السلام في مواجهة التحديات الثقافية، وصيانة نفسها من التأثر بالرياح الهوجاء التي تهب من الغرب مستهدفة أصالتنا ومعنوياتنا وارتباطنا بالقرآن الكريم وبالرسالة والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وامتدادهما في نهج أهل البيت عليهم السلام.

نسأل الله العلي القدير أن يوفق كل العاملين الرساليين في مجالات التوجيه الثقافي من العلماء والخطباء والكتاب والاساتذة المحاضرين لتحمّل مصباح الهداية الحسينية وانارة طريق الأمة للإلتحاق بسفينة النجاة الحسينية، انه ولي التوفيق.

مكتب المرجعية – كربلاء المقدسة

ذوالحجة – ١٤٤١ هـ

الفصل الأول

رؤى في مسيرة الخطابة الحسينية

من أجل هذه الأهداف خرج الحسين "ع"

حينما أطلق الإمام الحسين عليه السلام ثورته الكبرى التي تجاوزت الحدود الزمانية والمكانية، بيَّن عليه السلام الأهداف السامية لهذه الثورة، ليس له وإنما لكل من يتبع نهجه ويسير مسيره، فقال عليه السلام:

(وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين)[1].

تلك كانت كلمة الإمام الحسين عليه السلام قبيل خروجه إلى كربلاء، فلا بد ونحن نستقبل شهر محرم الحرام أن نتدبر في كلمات الامام ونستلهم منها الدروس والعِبر.

وحين نستقبل هذا الموسم الحسيني العظيم نجد أن ثورة عاشوراء تتجدد، ليس في أرض كربلاء فحسب، وإنما في كل أرض وفي كل صقعٍ. حينما نستقبل هذه الأيام العظيمة نجد أن الراية التي نشرها السبط الشهيد

---

١ . بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٣٠ – ٣٣١.

عليه السلام هي راية التوحيد الخالص، والتي قد انطوت على أثرها كل الرايات، ذلك لأن رايته أسمى وأنقى، فنقاؤها يتصل بنقاء التوحيد، ولأنَّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام أراد أن يُخرج الناس من الضلالة وحيرتها الى الهدى ورحابه، ومن عبادة الطواغيت الى عبادة الله، ومن الشرك والشك والوسوسة الى بصائر الوحي المتمثلة بالقرآن وكلمات جده وأبيه عليهم السلام.

فالأمة الإسلامية الكبيرة التي صاغها وأسسها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم انحرفت، والانحراف لم يأتِ بين عشية وضحاها، وإنما هو نتيجة لتراكم عوامل الضعف والخور والشهوات، عوامل داخلية وخارجية، كلها اجتمعت خلال ستين عاماً وأكثر، حتى تبيّن أن هذه الامة بدأت تنحرف انحرافاً بالغاً، وكان لا بد من صعقة الهية تهز مشاعر الأمة وتعيدها الى طريقها القويم، ولا أقل من أن تكون في الامة الاسلامية فئات مؤمنة صالحة مضحيّة شجاعة تسعى أبداً للمحافظة على سيرها على الجادة، واستقامتها على الحق، والمنهج الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله.

الاصلاح.. الهدف الأسمى

ولكن هذا الهدف العظيم، هدف الإصلاح الذي كان الإمام الحسين عليه السلام يشير إليه في كلماته الأولى في مكة المكرمة، هذا الهدف اليوم هو هدف كل الثائرين، وهدف كل الموالين، وهدف الحوزات العلمية والمراجع وجميع العلماء، فالحسين عليه السلام خط لهم خطاً واضحاً مستقيماً، وقبل أن يخط لهم هذا الخط بيَّن ماذا تعني هذه الكلمة، وبيَّن بكل وضوح أنَّ هذه الكلمة تعني التشرد والهجرة والخروج من بلد الى بلد، وتعني ملاحقة الطغاة،

وربما في النهاية تعني الشهادة في سبيل الله، ولذلك بدأ خطبته المعروفة قائلاً: (خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاة)[1]، وحينما جعجعوا به وبعياله ووصلوا كربلاء حيث المكان الذي حدثت به واقعة الطف، أعاد تلك الكلمة بعبارة أخرى وبمفهوم آخر قائلاً: **(إِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَما)**[2].

ولكن لماذا استخدم الحسين عليه السلام القلادة وهي تُستعمل للتزيّن والفرح؟ ربما ليقول لنا: إنَّ الموت في سبيل الله وفي سبيل إصلاح الأمة زينة وشرف عظيم، وهذا بالفعل ما حدث، فلقد قُتل صلوات الله وسلامه عليه، هو وعياله وأصحابه، ولكن قتله أصبح شرفاً ومناراً ومنهجاً، وأصبح قدوة للمجاهدين وسيداً للشهداء.

***

١. بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧.

٢. تحف العقول، ص٢٤٥.

عاشوراء.. رسالة العلماء

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنْ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال الامام أبو عبد الله الحسين عليه السلام في رسالة بعثها الى علماء المسلمين في عهد معاوية بن ابي سفيان، قال فيها مخاطبا العلماء:

(ثُمَّ أَنْتُمْ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ، عِصَابَةٌ بِالْعِلْمِ مَشْهُورَةٌ، وَبِالْخَيْرِ مَذْكُورَةٌ، وَبِالنَّصِيحَةِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِاللهِ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مَهَابَةٌ، يَهَابُكُمُ الشَّرِيفُ، وَيُكْرِمُكُمُ الضَّعِيفُ، وَيُؤْثِرُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَه).

ثم قال:

---

١ . المائدة: ٢٠-٣٢

(لَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُتَمَنُّونَ عَلَى اللهَّ أَنْ تَحُلَّ بِكُمْ نَقِمَةٌ مِنْ نَقِمَاتِهِ، لِأَنَّكُمْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهَّ مَنْزِلَةً فُضِّلْتُمْ بِهَا، وَمَنْ يُعْرَفُ بِاللهَّ لَا تُكْرِمُونَ وَأَنْتُمْ بِاللهَّ فِي عِبَادِهِ تُكْرَمُونَ، وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهَّ مَنْقُوضَةً فَلَا تَفْزَعُونَ، وَأَنْتُمْ لِبَعْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَفْزَعُونَ، وَذِمَّةُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ مَحْقُورَةٌ، وَالْعُمْيُ وَالْبُكْمُ وَالزَّمْنَى فِي الْمَدَائِنِ مُهْمَلَةٌ لَا تُرْحَمُون).

ثم أضاف:

(وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا غُلِبْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَشْعُرُون)[1].

هل يمكن أن ينحسر الظلام المخيِّم إلّا بعد أن يأتي النور؟

وهل يمكن أن ينحسر الحرور إلّا بعد أن يمتد الظل؟

وهل يمكن أن يسقط الجبابرة والظلمة إلّا بعد أن تقوم ثورة في الأمة يقودها العلماء بالله فيُسقطون عروش الطواغيت؟

إذا لم يأتِ النور فإن الظلام سائد، شئت أم أبيت، واذا لم تكن هناك حياة فلا بد أن يكون هناك موت، وإن لم يكن هناك رجال يحملون راية العدالة والحرية والإيمان والحق، فلا بد أن يكون هناك الظلمة والجبابرة يحملون راياتهم ويقمعون الناس بظلمهم.

وربنا سبحانه يقول: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾**[2]، فالباطل يزهق حينما يأتي الحق، فإذا لم يأتِ الحق فلماذا يزهق

---

١ . تحف العقول، ص ٢٣٧ – ٢٣٨.

٢ . سورة الإسراء، آية ٨١.

الباطل؟!

لقد علّمنا الإمام الحسين عليه السلام كلمة قالها في رسالته المعروفة المشهورة التي أطلقها في مكة المكرمة قُبيل انطلاقه الى كربلاء، فقال لأولئك القوم:

(خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُف).

ومن ثم قال لهم:

(مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلًا مُهْجَتَهُ، مُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهَّ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنَا، فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ اللهَّ)[1].

مسؤولية العالِم أثقل

إن لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يستجيب لنداء الكوفيين ورسائلهم، ألا يقولون له يوم القيامة: يا بن رسول الله كتبنا لك الاف الرسائل، وكل رسالة فيها العديد من التواقيع، ولم تكن من أناس عاديين بل كانت الرسائل من قادة الجيش في الكوفة، إذن لماذا لم تأتِ الينا؟

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

(يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِد)[2].

الجاهل أعمى، ولو وقع في الحفرة فهل يعاتَب؟ كلا؛ ولكن العتاب

---

١ . بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٦٧ – ٣٦٨.

٢ . الكافي، ج١، ص٤٧.

على الذي يبصر بعينه وبكل وضوح ثم يقع في الحفرة، أو أنه يرى أحداً يوشك على الوقوع في البئر ولكنه يغض الطرف عنه ولا يبالي، فالإمام الحسين عليه السلام أراد التركيز على مسؤولية العلماء تجاه الاوضاع الفاسدة، فهم المسؤولون يوم القيامة عن انحراف عامة الناس بسبب تقاعس العلماء، وهذا ما يؤكد عليه الامام الصادق عليه السلام حين يخاطب أحدهم قائلا:

(أَمَا لَأَحْمِلَنَّ ذُنُوبَ سُفَهَائِكُمْ عَلَى عُلَمَائِكُمْ)[1] .

وهذه كلمة تهدف إثارة مفهوم التصدي وتحمل المسؤولية من قبل العلماء.

ولكن ما الذي حدث؟

لنعد الى الايات التي تلوناها في بداية الحديث.

أمر الله تعالى نبيّه موسى عليه السلام أن يحارب العمالقة في منطقة أريحا، وهي الان تقع في الضفة الغربية من الأردن، فقال لقومه: **(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ)** فقالوا: لا نستطيع حتى يخرج هؤلاء ثم نحن ندخل من بعدهم: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[2]، أما أصحاب موسى المقربين فقد: **﴿قَالَ رَجُلانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**[3] وتفسير هذه الكلمة، أنكم تشكلون

---

١ . الكافي، ج٨، ص١٦٢.

٢ . سورة المائدة، آية ٢٤.

٣ . سورة المائدة، آية ٢٣.

روح الإيمان والنور وقوة العدالة والحرية والحق، وهم يمثلون الباطل والظلام والكفر، فإذا دخلتم عليهم فإن خروجهم أمر طبيعي، ذلك لأن النور الإلهي إذا جاء، فإن الظلام سينهزم وينحسر.

وأمتنا الإسلامية اليوم بحاجة الى هذا الدرس الذي نستلهمه من قصة موسى مع قومه، حيث علينا طاعة القيادة في مواجهة التحديات.

وكذلك الدرس الذي أعطاه الإمام الحسين عليه السلام بكلماته وسيرته ومقتله، فهي دروس بليغة أعطاها الإمام الحسين عليه السلام بدمه وأشلاء أعضائه ودم رضيعه والسياط التي تلوَّت على متون نسائه، وقطع كفوف أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، وقد كتبها لنا بالدماء والدموع والمآسي.

فيا أيها المسلمون! وأيتها الامة الاسلامية! وأيها الواعون من هذه الأمة! لا تسكتوا عن الظلم، فالظلم يبقى ما دام الناس ساكتون عنه، والضلالة تبقى ما دام أصحاب الهدى وحملة راية الدين لا يتحركون، ولو قاموا ورفعوا الراية لرأيت أن راية الظلام والكفر والضلالة تنهزم حتما.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه جاؤوا إلى هذه الأرض من قبل الله سبحانه بعد أن زكّاهم وهيّأهم في عالم الذر، جاء بهم الى هذه الأرض من أجل أن ينقذوا الناس، ويهدوهم إلى الحق، ولم يكن مجيئهم من أجل حسابات مادية دنيوية، ولم يأتوا من أجل حكومة أو تأسيس نظام سياسي يتحكم في رقاب الناس. نعم؛ الحكومة والنظام السياسي الديني الإلهي قائم على أساس وجود الناس المؤمنين، وليست الحكومة قائمة على أساس القمع والتضليل وإعطاء الأموال.

هدف الأنبياء

لم تكن السلطة والحكم هدفاً للائمة الأطهار عليهم السلام، ولا جميع الأنبياء عليهم السلام، إنما كان هدفهم بناء الإنسان، والإنسان هو الذي يشكل الحكومة، وأية حكومة قائمة على أساس قبول الناس وحركة الناس فإنها تلاقي ترحيباً كبيراً من المجتمع، أما القائمة على أساس الطغيان والقمع والترهيب فإنها غير مقبولة، ولا يرحَّب بها أساساً.

وذات يوم جلس معاوية ابن أبي سفيان (عليه لعنة الله) يستقبل عددا من أنصاره القادمين من البصرة والمدينة تمهيدا لاعلان ولاية العهد لابنه يزيد، وبعد مداولات قام يزيد بن المقنع العذري – وربما حسب اتفاق مسبق بينه وبين معاوية – فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا وأشار إلى سيفه[1] .

وهكذا أُخذت البيعة ليزيد، فهل هذه الحكومة كانت مرضية من قبل الله تبارك وتعالى؟

وخط الحكومات الظالمة وحكم الجبابرة ممتد وعلى طول التاريخ، والله تعالى يبعث الأنبياء والرسل من أجل أن يلتفَّ الناس حول الدين وحول طاعة الرسول وطاعة الله، ومن ثم ليشكلوا الدولة.

وفي يوم الغدير تجد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما وقف في غدير خم، وأخذ يد علي ابن أبي طالب عليه السلام ورفعها عالياً حتى بان بياض ابطيهما، حينها قال: **(من كنت مولاه فهذا علي مولاه)**، فإنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى

---

١ . الكامل في التاريخ (لابن الاثير)، ج٣، ص٥٠٨.

آله الطاهرين لمّا قال هذه الكلمة ما كان يريد بها تنصيب الإمام علي عليه السلام حاكماً سياسياً ليوم أو يومين، وإنما أراد بها أن ينصبه إماماً للأمة ما حييت، بأمر من الله عز وجل.

والإمام يريد أمة تقتدي به، وهو قام بصنع الأمة استمراراً لعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصاغها بتربيته، وهو القائل: (يا كُمَيْلُ إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أدَّبَهُ اللهُ عز وجل، وهُوَ أدَّبَنِي، وأنا أُؤَدِّبُ المُؤمِنينَ، وأُورِّثُ الأدَبَ المُكرَمِين)[1]، فهذا التسلسل هو الذي صاغ شخصية الأمة.

نهج الامام علي فلي الأمة

ونلاحظ في سيرة الإمام علي عليه السلام أنه نهج في الأمة منهجاً استمر من بعده عبر التاريخ، فأول شيء قام به محاربة الناكثين، فالحكم الشرعي قام والنظام استقر، ولكن كان هناك أناس يرفضون هذا الحكم، ويتمردون عليه، فحاربهم الامام عليه السلام، وهذا جائز لكل نظام ديني قائم على أساس إلهي وعلى أساس حرية الانتخابات، فإذا خرجت فئة تتمرد على النظام وتبغي عليه، جاز للنظام محاربتها. ثم حارب القاسطين، وأخيراً حارب المارقين، وهم الخوارج، ويمثل هذا الوجه في الوقت الحاضر داعش.

وهكذا يجب على العلماء أن يسيروا على نهج النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فيحملون على عاتقهم أهدافهم ورسالتهم، ويقفون في هذه الدنيا موقفهم، هذا وأن رسالة الإمام الحسين عليه السلام لا زالت حاضرة، وأن

١ . مكاتيب الأئمة عليهم السلام، ج٢، ص١٢٧.

المرحلة الزمنية التي نعيشها لا زالت تقتضي وتتطلب قيام العلماء بدورهم، وبخلاف هذا فإننا ما استمعنا إلى هذه الرسالة، وما وضعنا أنفسنا على خط المسؤولية وأهداف الحسين عليه السلام التي خرج من أجلها.

***

أولوا بقية يُصلحون شؤون الأمة

﴿فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

الصلاح والفساد

تقوم الحياة على ثنائية لا انفكاك منها أبداً، ثنائية الصلاح والفساد، فهناك دائماً طرف تظهر فيه ملامح الإفساد وعلى الضفة الأخرى طرف ثانٍ تظهر فيه ملامح الإصلاح، فطبيعة الإنسان قائمة على هذه الثنائية، فهو معرّض إلى الجوع والعطش، والحاجة الى السكن والذرية والأمن والغذاء والهواء وما شابه، وكل هذه المظاهر تمثل الجانب السلبي من الثنائية، ومن دونها يفسد الجسم ويموت، وتحقيق هذه الحاجات يمثل الجانب الإيجابي من الثنائية وهو الصلاح، وبه تنتعش الحياة وتدوم.

ولو تدبرنا في جسم الإنسان لتبيّن لنا أنه عالم مصغّر لما في الكون، ذلك لأن سنن الله في الخليقة واحدة، فالسنن التي تحكم أكبر المجرات في السماء،

هي ذاتها التي تحكم أصغر الذرات في الأرض، والإنسان ما بينهما يمثل حالة وسطى، وهكذا يكون النظام الحاكم لهذا الجسم أنموذجاً يعكس النظام الكلي للخلق، فجسم الإنسان قائم على دورة متكاملة بين الصلاح والفساد نراها تتجلى في صور عديدة وبالذات فيما يرتبط بنظام تركيبته الداخلية والعمليات التي تقوم الأعضاء بها، فالكبد على سبيل المثال يقوم بالعديد من الوظائف الرئيسية في الجسم أهمها إصلاح القلب، وصلاح الكبد يعتمد على إصلاح الكلية له، وهكذا كل عضو في الجسم يعتمد على الاعضاء الاخرى، ولولا هذه العمليات لانتهت حياة الإنسان.

فكما الجسم قائم على تلك الثنائية كذلك الحياة أيضاً، فالشمس حينما تشرق فإنها تصلح ما أفسده الليل، ذلك لأن الليل حينما يجن على الطبيعة تموت الطبيعة موتاً محدّداً، ويسميه القرآن بالسّبات، فإذا أشرقت الشمس عادت الحياة إلى الطبيعة من جديد، ويسمي القرآن هذه الظاهرة بالنشور، أي الحياة بعد الموت، ولذلك فإن علماء الفلك لهم وقفة ورأي حول ظاهرة الكسوف، حتى الجزئي منه، حيث يقولون أن له أثر سلبي على الحياة قد يستمر لعدة أشهر. فللكسوف آثار على الطبيعة، ذلك لأنه يحجز إشراقة الشمس على الأرض بنسبة معينة، ومن هنا شرّع الإسلام صلاة الآيات على أتباعه وأوجبها عليهم ليرفع الله عنهم العذاب الذي قد يأتي بعد الكسوف، وكذلك الخسوف.

اذاً فالحياة كلها تدور حور محوري الصلاح والفساد، والمجتمع أيضاً هو الآخر لا يشذ عن هذه الثنائية، فالمجتمع الإنساني عالَم يمثل الطبيعة التي من حوله، فكل شيء في الطبيعة من مخلوقات وكائنات له انعكاس على المجتمع، وحالات المجتمع تتشابه حالات الطبيعة، لأنه يمثل عنصراً

من عناصرها، وليس المجتمع إلا عبارة عن مجموعة من الأفراد يجتمعون فيكوّنون المجتمع، وهذا الاجتماع بالطبع لا يشذ عن السنن الحاكمة في الخلق وفي الأفراد.

من يقوم بالاصلاح؟

فالسنن الإلهية في الطبيعة هي ذاتها السنن في المجتمع، فإذا كان الأمر كذلك – وهو كذلك – لا بد أن نتساءل: من يقوم بدور الإصلاح؟

أما الفساد ومظاهره فلا تنتهي، والمجتمعات بطبيعة الحال في حالة من الاستهلاك، فلو خلّيَ الإنسان وطبعه والمجتمعات وطبعها فطبعهم التسافل، ولكي أوضح هذه الفكرة أضرب مثالاً: لو تسنّى لمجموعة من الناس أن يدرسوا فدرسوا الابتدائية وتخرجوا منها، ثم توقفوا عن الدراسة لسبب من الأسباب ولظرف من الظروف، سواء كانت أسبابا سياسية أو اجتماعية أو غيرها، فهل يبقى مستواهم على ما هو عليه؟ أم يكون في تراجع بعد مضي كل عام عليهم؟ فيكون الواحد منهم بعد سنة بمستوى الصف الخامس الابتدائي، وبعد سنتين يكون بالمستوى الرابع، وهكذا فيكون في تنازل.

والسبب وراء ذلك أن مخ الإنسان كما استوعب العلم فإنه يبدأ بالتراجع والتفريغ عند إهماله، فكما أصبح في حالة من التذكر يصبح في حالة من النسيان، وإنما سمي الإنسان انساناً لأنه ينسى، وأبونا آدم من قبل قد نسي العهد، ونحن على سيرته ماضون. والنسيان بحد ذاته نعمة من نعم الله على الإنسان، فلو لم ننسَ ما يمر بنا من مآسٍ وأحزان وفقد للأعزة

والأحباب لما استطعنا العيش.

إذاً مادام الإنسان معرّضا لنسيان معلوماته فهذا يعني أنه يتراجع الى حالة أخرى، وكما أن الإنسان ينسى، كذلك المجتمع الذي يتحكم به نظام طاغوتي كالنظام البائد في العراق، فيمنع عنه مصادر التوجيه ويقتل العلماء منهم، ويشردهم ويمنعهم من القيام بواجباتهم الرسالية، ويمنع الكتب ويحاسب عليها أكثر مما يحاسب على السلاح، فإن هذا المجتمع بالتأكيد سيتراجع من الناحية الدينية والعلمية.

فمن هو المسؤول عن حركة الإصلاح في الأمة؟

أولوا بقية ينهون عن الفساد

ربنا تعالى في ختام سورة هود يحدثنا عن الاستقامة إذ يقول: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[1]، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سألوه عن سبب إسراع المشيب إليه قال: (**شَيَّبَتْنِي هُود**)[2] وكان يقصد هذه الآية، وربما هذه الآية تمثل خلاصة السورة، ونستطيع أن نسميها بسورة الاستقامة، حيث تبيّن وتشرح لنا مجموعة من القصص الرائعة للأنبياء العظام الذين تحدوا الظروف الصعبة وتجاوزوها، والتي لا يستطيع أن يتحملها الإنسان إلا بالتوكل على الله، ثم بعد كل تلك القصص جاءت هذه الآية الكريمة: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ**﴾.

---

١ . سورة هود، آية ١١٣.

٢ . الأمالي للصدوق، ص٢٣٣.

ولكن ما بعد هذه الآية الكريمة يقول تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ**﴾[1]، فكما خلق الله في جسدك القلب الذي يحول الغازات السامة الى غازات طيبة كالاوكسجين وما أشبه، وكما جعل في جسدك الكبد وهو الذي يقوم بدور أساسي في تصفية الدم، وكذلك الكلية التي تقوم بنفس الدور من جوانب أخرى، كذلك في المجتمع لا بد أن يكون فيه من يمثل دور القلب والكبد والكلية، ليؤدي ذات الدور الإصلاحي، ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ**﴾.

ولكن هل مجرد النهي عن الفساد يكفي لعملية الإصلاح؟ بلى؛ الله يريد منا أن ننهى عن الفساد، هذا دور أساسي وهام جداً، لأن الله تعالى خلق نفوساً طيبة في المجتمع، فإذا سمعت كلمة الحق استجابت لها، فلا يحق لنا أن ننظر الى المجتمع نظرة واحدة، ونحكم عليهم حكماً كاسحاً، لأن الله تعالى جعل فيهم الطيبين، والسياق في الآيات القادمة يفسر هذه الحقيقة وسيأتي بيانها إن شاء الله.

﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ**﴾، ﴿**لَوْلا**﴾ أداة التحريض، أي لماذا لا يوجد، بل يوجد ﴿**أُوْلُوا بَقِيَّةٍ**﴾، من هم أولوا بقية؟

الجواب: إذا انقرضت فئة من الناس، لسبب من الأسباب، وبقي منها مجموعة قليلة، فهذه المجموعة الباقية تُسمى: (أولوا بقية). وبقية السيف أبقى وأنمى، كما يقول الإمام علي عليه السلام، وهم السادة من أهل البيت عليهم السلام، حيث يجعل الله فيهم البركة.

---

١ . سورة هود، آية ١١٦.

﴿فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾، هل هؤلاء هم بقية السيف؟ كلا؛ إنما هؤلاء الذين استقاموا وما انكسروا بعد غواية الشيطان لهم..! حيث كانوا يتمتعون بالاستقامة والصبر وقوة التحدي، وبهذه الصفات تميزوا عن المجتمع الذي كان من حولهم، وهذا شيء غريب أن ينتهي مجتمع بأكمله ولا يبقى منهم إلا القليل، ولنقرأ الآية الكريمة ونلاحظ دقة التعبير القرآني: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، فلا يستطيع الإنسان أن يصبر ويتحدى ويستقيم إلا بالتوكل على الله تعالى، ونيل التوفيق منه سبحانه.

أما بقية الناس فقد اتبعوا الشهوات التي أترفوا فيها وكانوا ظالمين، حيث كانوا يظلمون أنفسهم ويظلمون الآخرين أيضاً.

المصلحون أمان للأمة من العذاب

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

إذا كان في الأمة أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض، وإذا كان فيها مجموعة تحمل على عاتقها راية الإصلاح، وإذا كان فيها طائفة من الناس يتفقهون في الدين وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون، إذا كانت هذه المجاميع موجودة فإن الله تعالى لا ينزل العذاب على أمتهم، ذلك لأنهم أمان لها من العذاب، فالله تعالى يؤمن أمة بكاملها ولا ينزل العذاب على أهلها لوجود حملة الإصلاح فيها.

فمن هذه الآية المباركة نستلهم أن تفسير الآية السابقة هو أن ربنا يريد

أولوا بقية ينهون عن الفساد، والتكليف هنا ينحصر في النهي عن الفساد، أما فيما بعد فعلمه عند الله ، فالنهي منك والتغيير من الله تعالى، فالله تعالى يبيّن في هذه الآية والآية التي تليها أنْ لا نفكر في أنَّ الناس هل يصلحون أم لا؟ فالله خلق الجنة لأناس والنار لأناس آخرين، والجنة لا تمتلئ والنار تمتلئ.

جيش الاصلاح

وهنا نقف على قضية هامة، وهي أننا إذا نظرنا الى التاريخ الإسلامي، وبالذات في باكورته الأولى، لرأينا أن الحوزات العلمية كانت عبارة عن مجموعة من الناس قرروا أن يكونوا أولوا بقية، وعقدوا العزم على أنْ يصبحوا مصلحين، وهكذا نجد أن الإمام علي عليه السلام أول ما قام به تأسيس جيش الإصلاح، وسماهم حينها بـ (الشرطة)، حيث اشترط عليهم أن يدافعوا عن الدين، وضمن لهم الجنة إن قاموا بهذا الشرط، فلم يكن ذلك الجيش من أجل الحرب والسلاح، وإنما كان جيشاً اجتماعياً من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولإقامة العدل في المجتمع. وقد تبقّى القليل من هذا الجيش بعد مضي السنين، والذين شاركوا فيما بعد مع الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ومنهم من بقي مع الإمام الحسين عليه السلام ليشارك في معركة عاشوراء، فالذين ثبتوا واستقاموا كانوا أصحاب همة عالية وتقوى وورع، وأصحاب أفق واسع. وهذه الخط تزايد بعد شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام بعد أن كاد أن يضمحل، ذلك لأن الحسين عليه السلام رفع من جديد راية الإصلاح، حين أطلق كلمته المشهورة: (وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً

وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ص أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ)[1].

أما من لا يعرف المعروف والمنكر لكي يعمل با الاول ويتجنب الثاني، فلا بد أن يتوجه الى معرفة الدين، والدين يعرفه بهما وبمصاديقهما.

***

١ . بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

الدور المطلوب من خطباء المنبر الحسيني

إذا كان سيدنا وقدوتنا أبو عبد الله الحسين عليه السلام الله مصباح هدى وسفينة نجاة، فمن الذي يحمل المصباح اليوم؟ ومن يدعو الناس للركوب في سفينته؟

واذا كان الناس بحاجة الى ذلك الهدى ومصباحه لكي يهتدوا به الى سبل السلام، وبحاجة الى السفينة لكي يضمنوا نجاتهم بها، فلماذا اذاً مع وجودهما لا يزالون في التيه؟ ويغرقون في لجج الابتلاءات والفتن؟

بمناسبة حلول شهر محرّم الحرام يجدر بنا أن نتساءل: من الذي يجب أن يحمل المصباح ليضيء به درب التائهين؟ ويقود السفينة لينقذ الناس الذين لا يزالون يغرقون هنا وهناك؟

نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال: (**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاء**)[1]، وكذلك حفيده الإمام الحسين عليه السلام حينما قال: (**ذَلِكَ بِأَنَّ مَجَارِيَ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللهِ الْأُمَنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِه**)[2]، فهم قد حددوا من يحمل المصباح ويقود السفينة، فالعلماء والفقهاء والدعاة الى الله

١ . ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، للشيخ الصدوق، ص١٣١.

٢ . تحف العقول، ص٢٣٩.

هم من يحملون المصباح ويقودون السفينة.

فاذا وجدنا الناس يتيهون في الأرض، ويعيشون الظلمات، ويغرقون في الفتن والابتلاءات فلا يمكننا أن نبرّئ أنفسنا، ونقول: ليس علينا شيء! كلا.. بل علينا كل المسؤولية، ولا بد أن نراجع أنفسنا جيداً.

لأن أعظم ما يبتلى به الإنسان، وقد ابتُلي به اليهود من قبل، حينما قالوا إنَّ الله لا يعذبنا، فبرّأوا أنفسهم، والبعض منا يبرّئ نفسه ويزكيها، ويجعلها فوق المساءلة، وفوق القانون، بل وفوق الوحي والعياذ بالله، فلا يوجه أنامل الخطأ والاتهام الى نفسه أبداً.

لذلك علينا أن ننفتح على النقد البنّاء، الذي ينتقده الآخرون، فلعله يكون صحيحاً، فلا يوجد أحد أعظم من أن يقال له اتق الله، فإن لم يكن كذلك لربما يشمله الخطاب الالهي الذي يقول: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[1].

فاذا كانت هناك مشاكل في الأمة، وصراع بين أبنائها، ومشاكل في ثقافة الناس، كأن تكون ثقافتهم محدودة او ناقصة او مغلوطة، وقد تكون الهجمات الثقافة التي تنهال علينا من كل صوب عبر الاذاعات والصحف، والنت ومختلف الوسائل الأخرى، وبمختلف الأساليب، فهذا إن كان يدل على شيء فإنه يدل على أننا لا بد أن نتحمل مسؤوليتنا، ونقول الكلمة الصادقة.

ولا بد أن يجلس العلماء والخطباء، والحكماء، والخبراء ويفكروا ويخططوا للخلاص من المشاكل التي تعصف بالأمة، لأن القضية ليست بسيطة، فهي

---

١ . سورة البقرة، آية ٢٠٦.

مرتبطة بمصير الأمة، وبلدنا العراق بلد الرسالات، وبلد الأئمة، وأكاد أقول إن صَلُحَ صَلُحَ العالَم.

بماذا يتمثل مصباح الهدى؟

يتمثل ذلك الهدى ومصباحه في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، وفي كلماته ومصائبه وشعائره، ومسؤولية تطبيق تلك السيرة وترجمة تلك الكلمات على الواقع تقع على عاتقنا، فمسؤوليتنا أن نضع النقاط على الحروف، لأن الله يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[1]، فغير الراسخين في العلم لا يستطيعون أن يؤوِّلوا سيرة الإمام الحسين عليه السلام، أو يطبقوا شعائره على الواقع. لذلك يجب أن يقول العالِم كلمته، ويتصدى للواقع، ويضع حلولاً لمشاكله ومعاناته.

وهكذا السفينة أيضاً، فالسفينة بحاجة الى من يدعو الناس اليها حتى يركبوها، فهي حتماً راسية في الأمة، فالحسين سفينة النجاة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن من الذي يدعو الناس اليها، وينظم ركوبهم فيها؟

الحوزات العلمية هي المسؤولة عن هذا الدور، وفي مقدمتها المرجعية الدينية، ومن ثم الفضلاء والمدرسون، والخطباء والكتّاب، وبالخصوص خطباء المنبر، فهم أصحاب الدور الكبير، لأنَّ الخطيب حينما يصعد المنبر ينطق باسم الدين، وباسم المرجع، وباسم الاحكام الشرعية التي يبينها العلماء، فالخطيب حلقة الوصل بين علماء الحوزة وفضلائها وبين أوساط الجماهير وأبناء الأمة.

لذلك لا بد للخطباء أن يركزوا على مسؤوليتهم الكبيرة، فحينما

---

١ . سورة آل عمران، آية ٧.

يتحدثون عن التاريخ، أو الشعائر، أو مصائب أهل البيت عليهم السلام، عليهم ان يسعوا بكل ما عندهم من جهود في ربط تلك الأحداث التاريخية مع الواقع المعاصر، لكي تكون أكثر نفعاً وتأثيراً في الأمة.

فينبغي علينا أن نفكر في أمراض وأعراض مشاكل مجتمعنا، ومن ثم نبحث في التاريخ، وخصوصاً في تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، في يوم عاشوراء، لأن عاشوراء مدرسة كبيرة، وجامعة عظيمة قد جمعت كل قيم الحق ومبادئ السماء، وبالمقابل أيضاً قد انخرط النفاق كله وجنود الباطل في مواجهة الحسين عليه السلام، فنبحث فيها ونأخذ ما يحتاجه الناس من علاج لمشاكلهم.

فاذا وجدنا الناس يستأثرون، نتحدث معهم عن ايثار ابي الفضل العباس عليه السلام، واذا وجدنا الناس يتخاذلون نحدثهم عن صمود أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وكيف كان أحدهم يوصي الآخر عند وفاته بنصرة أبي عبد الله، واذا وجدنا الناس يتهربون من تحمل المسؤولية تحت طائلة بعض التبريرات، فنذكرهم ببعض كلمات الإمام الحسين عليه السلام، حينما قال: (**هيهات منا الذلة**)، واذا كان الناس يجلسون ويفكرون في المصاعب والمتاعب ويضخّمونها، ويبحثون عن المكاسب واللهث وراء الدنيا، فنقول لهم اجلسوا واستمعوا الى الصديقة الصغرى زينب الكبرى، حينما خاطبت ذلك الطاغية قائلة: (**ما رأيت إلاّ جميلاً**).

فأنا لم أجد كلمة من كلمات العرب والعجم توازن كلمة السيدة زينب عليها السلام، حينما قالت:(**ما رأيت الا جميلاً**)، فلم تقل نصبر على بلائه، أو نشكره على ما أصابنا، بل قالت:(**ما رأيت الا جميلاً**).

فهذه هي المدرسة، والمعلمون فيها الخطباء والعلماء، وكلٌّ من مكانه، وكلٌّ حسب سعته وما يملكه من جهد.

***

الحركات الرسالية امتداد واقعة الطف

هل ما حدث في واقعة كربلاء كان حادثاً مهولاً وكبيراً، ولكنه وقع وانتهى؟

هل كان هناك مجموعة من البشر ارتدّوا عن دينهم، والله تعالى انتخب مجموعة أخرى من البشر غيرهم قد تجاوزوا عوامل الضعف وعقبات الهوى والركض وراء الشهوات والذنوب، فوصلوا الى القمة، فصاروا بديلاً عنهم؟

كلا؛ ليس الأمر بهذه الصورة فحسب، إنما ذلك الحدث وتلك الواقعة وقعت ولا زالت مستمرة في عمق الزمن، فسُنَّة الله شاءت أن تكون في الأمة مجاميع متعددة تراهم يجسدون الصنف الثالث من الناس وهم الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح، وهم النسبة الطاغية في الأمة، ومن بين صفوف الأمة توجد فئات أخرى من الناس، تتسم بالقوة والنهضة، لا تغرهم الدنيا بما فيها، ولا تميد بهم أسباب الضلالة مهما كان حجمها، هذه المجموعة هي الأقلية التي تقاوم الظلم والفساد، وهي التي تمثل الخط الممتد لواقعة الطف.

فمن أهم أهداف عاشوراء وأهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام إيجاد هذه الفئة وهذا الخط في عمق الأمة الإسلامية، فكان هدف عاشوراء

صناعة الرجال الذين يحبهم الله ويحبونه والذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فهذه الفئة تمثل الامتداد الذي انطلق من ملحمة عاشوراء، لتكون ميراثاً وانعكاساً للطف ولشخوصه العظيمة، فخط لهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام الطريق عبر دمه ودماء أهل بيته وأصحابه الزاكية، ليمثلونه في كل زمان.

المجاهدون على خطى الحسين

وصبغة هذه الفئة الجهاد في سبيل الله على مر التاريخ، فبعد واقعة الطف بخمسة أعوام ظهرت أولى هذه الفئات، وهم التوابون، عليهم سلام الله وعلى من قادهم، ثم من بعدهم جاءت حركة المختار الثقفي، وهكذا توالت الحركات ذات الصبغة الحسينية العاشورائية، ولا تزال منذ ذلك اليوم وحتى يومنا، فالله تعالى يختار لدينه مجاميع يحبهم ويحبونه، يتميزون عن غيرهم بالذوبان في حب الله تعالى، وفي العمل في سبيل الله، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب الإصلاح كما كان الإمام الحسين عليه السلام.

اذن واقعة الطف لم تكن واقعة في وقتها وانتهت، وإنما هي رمز خالد ومسيرة ممتدة على مر العصور، فالإمام الحسين ثورة لا تنتهي، وشعلة لا تنطفئ، وايمان يتحدى الكفر والفسوق والنفاق، وكرامة تتحدى الذل وتتحدى كل أنواع الخنوع في التاريخ.

واليوم نحن حينما نعاصر ونرى المسيرات العاشورائية والمسيرات الأربعينية وحركة النهضة في الأمة الاسلامية، فإن هذه الحركات التي تتحدى الطغاة وتقف أمام سلطات الظلم هنا وهناك طالبةً الكرامة والعزة

وتنشد الشهادة في سبيل الله وتقاوم السيف بالدم، كل هذه الحركات نابعة من عاشوراء الحسين عليه السلام، في كربلاء وفي كل مكان ولا استثني مكانا عن مكان، ولهذه الحركات قوة تأثير وديناميكية هائلة، وحيوية في التغيير، ذلك لأنهم قد تنوروا واستضاءوا بنور الحسين عليه السلام وثورته الكبرى.

وهكذا يكون لزاماً على الفئات الرسالية والرجال الذين يمثلون هذا الامتداد الاستفادة من هذه الروابط العظيمة بينهم وبين عاشوراء، ليكون لهم الدور المؤثر في الأمة الإسلامية، وبالاخص في الجماهير الحسينية المشتعلة حباً وعشقاً بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وليكون الدور عميقاً يجسِّد منهج عاشوراء في التصدي الكامل للنهوض بواقع الأمة، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق مقتضيات الزمن، وبالحجم الذي يتلاءَم مع المتطلبات والتحديات، عبر مختلف الأساليب المؤثرة، والأخذ بزمام الإصلاح الذي يبشر بقمع الفساد والانحلال بالشكل الذي يفرض سيطرته على الواقع، ليكونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾.

***

الخطباء لسان العلماء

أيها الخطباء الكرام!

أنتم سيوف العلماء ولسانهم، ذلك لأن الواحد منكم حينما يرتقي المنبر الشريف فإنه يتحدث عن الفقيه الجالس في بيته، فالفقيه يرسم خارطة الطريق، والخطيب يعلن عنها للجماهير، لذا فلا تنسوا في أحاديثكم أن تبددوا الشبهات في أذهان البعض من الناس عن الفقهاء لسبب أو لآخر، فهذا يصرخ أنه من جماعة فلان، وذاك يصرِّح أنه ضد جماعة فلان، فهذه كلمات مدسوسة، نعم فهي مدسوسة لأنها جاءت من أيادٍ خبيثة، يبثونها داخل المجتمع المؤمن ليفرقوا الناس عن بعضهم البعض، والواقع إنَّ العلماء كلهم نور واحد، وطريقهم واحد، وهم أبواب متعددة تؤدي كلها إلى منزل واحد، وذات يوم قلت لأحدهم عندما سألني عن المراجع، قلت له: من أين تدخل إلى ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام؟ قال: من هذا الباب وسماه، فقلت له: لو دخل شخص آخر من الباب الفلاني وسميته له، هل يصل إلى الضريح؟ قال: بلى يصل. فقلت: لو دخل ثالث من الباب الثالث هل يصل الى إلى الضريح؟ قال: بلى. فقلت له: هكذا هم العلماء، فكلهم أبواب تؤدي في نهاية المطاف إلى منزل واحد ومنطقة واحدة.

فيجب أن لا نفرق بين عالمٍ وآخر، وربَّ شخص يتكلم على عالمٍ فيكون

سبباً لأن يهوي من السماء إلى الارض: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[1] .

وإمامنا الحسين عليه السلام أطلق كلمتين في كربلاء، في الكلمة الأولى قال: (لا) وفي الثانية قال: (نعم). فأما الأولى فقد أطلقها ليزيد ولكل من يمثل خطه، فقال: (وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ)[2] . وقال نعم لحجة الله في الارض، لنفسه آنذاك، ولمن يمثل خطه من أهل بيته ومن العلماء السائرين على دربه.

هذا وإنَّ تراث أهل البيت يتمثل في نقاط أربع: كلماتهم وسيرتهم ومراقدهم وخطهم المتمثل بالفقهاء، حيث يجب أن نوجه الناس إلى هذه الأمور، والتي تُعتبر من أساسيات الدين، ولعل البعض يقول: إنَّ الناس يطلبون في شهر محرم الحرام التحدث عن السيرة وعن المصيبة، نعم إنَّ أساس العمل هو التحدث عن المصيبة، فهذا مفروغ منه، ونحن لا نتكلم عن المسلمات، لأنها واضحة، ولكن من خلال الحديث عن المصائب يجب أن يتم توجيه الناس الى حكمة هذه المصائب، ورسالتها، ورسالة عاشوراء بالذات، وما تتضمنه من دروس بليغة، وما ينبغي عليهم من مسؤوليات تجاهها، وبالذات المسؤوليات والواجبات تجاه علمائهم الذين يمثلون الإنعكاس الواقعي لشخصية الإمام الحسين عليه السلام ومنهجه.

***

١ . سورة النور:١٥.

٢ . بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٥.

ترسيخ المبادئ الحسينية مسؤولية من؟

نحن الشيعة، وبالذات في العراق، أحوج ما نكون إلى روح المسؤولية، فالشعب العراقي بحاجة الى أن يتمثل كلمة إمامه الحسين عليه السلام حينما قال: **(وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي ص أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ)**[1] لكي تكون هذه الحالة هي السمة الرئيسية لكل واحد وكل فرد من أبناء هذا البلد.

والمسؤولية عامة على الجميع، و في كل زمان ومكان، ولكنها اليوم أشد، ذلك لأن كل واحد اليوم يستطيع وبأي وسيلة أن يخاطب الناس، عبر الأنترنت والفضائيات والهواتف النقالة، والكثير من الوسائل التي يستطيع عبرها توصيل كلمة الحسين عليه السلام الى الناس.

وربنا سبحانه وتعالى يوم القيامة يسأل العبد عن هذه الأسباب، فيقول له كنت تقدر على إيصال هذه الرسالة فلِمَ لمْ تفعل؟ فهل له أن ينكر؟ وأن الله تعالى له الحجة البالغة **﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾**[2] ، فكل من يستطيع اليوم أن يحمل المسؤولية يجب أن يحملها، فيأمر بالمعروف وينشد الاصلاح طريقاً ومنهجاً في حياته، وليقوم بدوره ولو بمقدار، ولو بنسبة معينة، وأن الله لا

---

١ . بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

٢ . سورة الانعام، ١٤٩.

يكلف نفسا الا وسعها، فلا يقول أحد لا أقدر على شيء، إنما الأمر مناط إلى كل فرد وقدرته، فهو مختلف من شخص لآخر وحسب إمكانياته.

وهذه المسؤولية مركزة على حَمَلَة راية الإصلاح الحسيني، فهم أول الناس مطالَبين باستلهام هذه الروح من قدوتهم وإمامهم سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فيستلهمون منه القيم كلها وأهمها قيمة المسؤولية، ومن ثم يبثونها في المجتمع وفي الأمة ويرسخونها فيهم بشتى الطرق وبمختلف الأساليب وعلى جميع الفئات الاجتماعية بين الناس.

***

الفصل الثاني

الخطيب أدوار ومسؤوليات

أولاً: قضية عاشوراء

عظمة يوم عاشوراء

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

نستقبل في كل عام ذكرى عاشوراء والتي تصبغ – دوماً وأبداً – بداية السنة الهجرية بلون الكرامة، وعزة الجهاد.

فما هي العبرة من قيام السبط الشهيد عليه السلام وحدوث تلك الفاجعة الأليمة، والحادثة المروعة، والتي لم يشهد العالم مثيلاً لها؟ لماذا وقعت؟ وكيف أذِنَ الله تعالى لصفوة أوليائه، لابن بنت رسوله، لابن خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يُذبح عطشاناً بين رافدين؟ وأن يُقتل أهله والطيبون من أنصاره وأكثر من ثلاثين واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الصورة الفجيعة، وأن تُسبى نساؤه وعياله من منزل إلى منزل، ويهدى رأسه الشريف من موقع الى موقع ومن بغيٍّ إلى بغيٍّ، فتجد اليوم مساجد في العالم الاسلامي تتشرف باسم الحسين سلام الله عليه، فاذا بمسجد في الشام باسم مسجد رأس الحسين، ومسجد في القاهرة بنفس الإسم، ومسجد في

حلب، وأماكن أخرى..فكيف حدثت هذه الحادثة؟

عاشوراء لماذا..؟

من هول هذه الحادثة ومن عظمة وقوعها أخذ بعض الناس يشككون في بعض تفاصيلها، لأنهم لا يعرفون فلسفتها ولا يعرفون حكمتها ولا يعرفون ما وراءَها!.

لكي نستوضح هذه الحقيقة وحكمة هذه الحادثة الفجيعة لا بد أن نعرف طبيعة هذه الدنيا وسنن الله تعالى الجارية فيها.

الأمة الاسلامية أمة أخرجت كخير أمة للناس: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[1]، ماذا كانت حقيقة هذه الأمة؟ ولماذا كانت خير أمة أخرجت للناس؟ القرآن يجيب على هذا التساؤل بلا فاصلة في ذات سياق الآية فيقول: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾.

فقوة هذه الامة في ذاتها وحيويتها وعطائها ينطلق من داخلها، فهي أمة تميزت بمخاطبة الضمير والوجدان، واستطاعت أن تكتسح العالم ذلك اليوم في فترة قياسية جداً، بسبب عوامل التميّز والقوة التي كانت فيها، وأهم تلك العوامل هو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكن لماذا تراجعت فيما بعد وتسرب إليها الضعف؟

كما قيل: إنَّ الدنيا تحلو لأصحابها، و(**إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ**

---

١ . سورة آل عمران، آية ١١٠.

لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون)[1]، كما قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا الصنف يمثل الفئة الكبرى من الناس، وفي المقابل الذين يستمرون مع الايمان ويستقيمون على الخط الجهادي هم الأقلية، والله تعالى حينما يتحدث عن أهل البر وأهل الطاعة وأهل التوحيد يصفهم بالقلة، فيقول في كتابه الكريم: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[2]، ﴿**إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾[3]، فالقران الكريم عادة يمدح الأقلية ويذم الأكثرية، ذلك لأن الوصول الى الدرجات الرفيعة وبلوغ القمم لا يتيسر إلا لقليل من الناس لصعوبته.

حينما تستولي عوامل الضعف

فأبناء هذه الأمة دبت في نفوسهم عوامل الضعف، فخدعتهم الدنيا وزبرجها فصاروا يميلون الى الخفض والدعة، فأصبح الواحد منهم إذا رحل عن الدنيا جاؤوا الى تركته فوجدوها ذهباً كثيراً يقسمونه بالفأس على ورثته! بينما نفس الشخص كان يوماً يحلم بالدرهم والدينار.

فهذه النفوس التي كانت بالأمس ترفض الخضوع لإرهاب قريش صارت خاضعة ومستسلمة لترغيب الدولة، فيأتي الكتاب من معاوية إلى عمرو ابن العاص يطلب منه القدوم عليه للاستعانة به على مواجهة الامام علي عليه السلام، فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنيه عبد الله ومحمدا، فقال

---

١. تحف العقول، ص٢٤٥.

٢. سورة سبأ، آية ١٣.

٣. سورة هود، آية ١١٦.

عبد الله: أرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وهو عنك راض، والخليفتان من بعده، وقتل عثمان وأنت عنه غائب، فقر في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشكتما أن تهلكا فتستويا في عقابها. وقال محمد: أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وإنْ يُصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها طالبا بدم عثمان، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية. فقال عمرو: أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني، وأنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر[1] . ثم اختار الدنيا على الاخرة وانحاز الى معاوية، وحارب الخليفة الشرعي امير المؤمنين عليه السلام.

وقصة عمر بن سعد هي الأخرى قصة معروفة، كيف خدعته الدنيا وقاد جيشاً ليحارب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الحصول على السلطة، فهذه القصص هي أمثلة وعبر، وهي تدل على حقيقة واضحة ألا وهي أن أكثر الناس حليت الدنيا في أعينهم، فباعوا الآخرة وأقبلوا عليها.

فكان إطار الأمة الإسلامية إطاراً جيداً، دولة إسلامية تدعو الى الدين والشرف والكرامة في الظاهر، وتدعو وتدعو، ولكن الداخل وما يجري في أعماق الامة كان متزلزلاً ضعيفا متهاوياً، خاوياً، فأين الهدف الذي لا بد أن تنشده هذه الأمة؟

أليس من اللازم أن تكون لهذه الأمة قوة داخلية عميقة، حتى تحافظ على روحها وجوهرها وقيمها، وتحافظ على ذلك المبدأ الأصيل الذي أخرجت هذه الامة على أساسه وهو مبدأ: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كُنْتُمْ

١ . شرح نهج البلاغة (لابن ابي الحديد)، ج٢، ص٦٢.

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ولكن كيف الطريق إلى هذه القوة وهذا الحفاظ؟

سُنّة الاستبدال واجتثاث الفاسدين

ربنا سبحانه وتعالى في سورة المائدة وفي الآية (٤٥) يبين لنا ذلك حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. معنى ذلك أن هناك من آمن وعمل صالحا واستمر على الايمان فترة من الزمن، ولكنه وسبب تعرضه لضغوط الشهوات والإغراءات ما استطاع أن يصمد فانهار أمامها، وانعطف وراء الرغبات وأمام السلطة وامكانياتها وما اشبه، والفئة التي يأتي الله بها كبديل عن أولئك المرتدين، لها مميزاتها وسماتها الخاصة، فهم يمثلون الحزب الالهي القوي، إنهم يتحدون الارهاب، ويتحدون الرغبات والشهوات والسلطات والامكانات وما اشبه.

والخطاب في مطلع هذه الآية كان الى النبي والذين آمنوا في عهده، الذين لم يرتدوا عن دينهم، وربنا يقول: ﴿فسوف يأتي الله﴾، كلمة ﴿فسوف﴾ باللغة العربية تأتي بمعنى التأخير للمستقبل المترتب على الماضي والمتأخر عنه، وهذه الآية كانت تتحدث عن مفهوم الارتداد لتستوضحه في أذهان المسلمين، وبالفعل بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدث ما حدث وارتد من ارتد عن دينه.

بعد أن ارتد القوم عن دينهم وأخذتهم الأهواء وشهوات السلطان

والملك شاء الله تعالى أن يستبدلهم. وأقول وبكل صراحة وكل جزم: إن في قمة هؤلاء وقدوتهم والمثل الاعلى لهم هو سيدنا أبو عبد الله الحسين عليه السلام ومن كانوا معه من أصحابه وأهل بيته، ذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي وصف أصحابه فقال: (**اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعْرِفُ أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَزْكَى وَلَا أَطْهَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَلَا أَصْحَاباً هُمْ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِي**)[1]. فشاءت حكمة الله تعالى أن تجعلهم خير قدوةٍ وخير منارٍ يُقتدى بهم ويحتذى على أثرهم، فصار يوم عاشوراء عظيماً كما أراده الله، وكان الاستبدال بهذا الحجم وبهذه العظمة لما كان للأمة من نوم عميق وميل عظيم عن الدين، فكانت واقعة مدوية لا يزال صداها وأثرها بالغاً ومؤثراً إلى يوم القيامة، فهذه هي فلسفة عاشوراء.

***

١ . الأمالي للصدوق، ص ١٥٦.

ذكرى عاشوراء
تشعل القلوب بلهيبها

وفي شهر محرم الحرام، موسم النهضة الحسينية، لا بد أن نلتفت إلى حقيقة مهمة جداً، فهناك قول ولعله رواية، أنه عند بداية السنة الهجرية في الأول من محرم الحرام تأتي فاطمة الزهراء عليها السلام في عالم الملكوت في عالم الغيب وتنشر تحت العرش قميص ابنها الحسين عليه السلام، الملطخ بالدم فإذا بنسائم الرحمة الالهية تهب على هذا القميص فتنزل الى الارض وتدخل شغاف قلوب الموالين للامام الحسين عليه السلام، فاذا بنفوسهم تلتهب، واذا بحرارة الولاء للحسين عليه السلام تتقد من جديد، واذا بك تجد العالَم يتغير والموالون لاهل البيت مع بداية محرم تجد أصواتهم عالية تصرخ: لبيك يا حسين.. لبيك يا حسين.. تنطلق هذه الكلمة من قلوبهم وافئدتهم المحترقة قبل ان تنطلق من افواههم.

فحري بنا نحن حملة الراية الحسينية والمبلغين والسائرين على نهج الحسين عليه السلام، أن نعي حجم هذه الفرصة وحجم هذا التوجه، لنكون على استعداد كامل لتأدية مسؤولياتنا تجاه المجتمع، وتجاه كل ما يتطلب منا دوراً إصلاحياً أو تربوياً أو إعلامياً أو ما شابه، لنكون حملة مصباح الهدى والدعاة الى سفينة الحسين عليه السلام.

الخطباء.. واستمرار وهج عاشوراء

كان الامام الحسين عليه السلام شخصاً فأصبح مسيرة، وكان إماماً فأصبح أمة.. وكانت كربلاء بقعة فأصبحت قبلة للوالهين، ومنطلقاً للمؤمنين، وراية عالية للدفاع عن المظلومين في كل مكان، وكان الحسين عليه السلام مصباح هدى فاهتدى به الصالحون، وسفينة نجاة فركبوا فيها فأنجتهم من فتن الدنيا حتى أوصلتهم الى شاطئ الأمان والسلام، فقد قدَّر الله أن يصبح الحسين عليه السلام باباً الى رحمته.

عندما خلقنا الله وكان أعلم بنا وأعرف وأقرب الينا من حبل الوريد، أراد أن يجبر ضعفنا، وان يفتح لنا المزيد من رحمته للوصول الى جنانه ودار ضيافته، فخلق لنا أهل البيت عليهم السلام، والذين كانوا أنواراً بعرشه محدقين، ثم منَّ الله بهم علينا وعلى البشرية كافة ليكونوا أبواباً لرحمته، وجعلها مفتوحة على مصراعيها، لكي يلجها من يلجها وهو مطمئن، وباب الإمام الحسين عليه السلام أوسع تلك الأبواب، فهو إمام الرحمة ومصباح الهدى وسفينة النجاة.

كربلاء.. قبلة الوالهين

ولكن ما هي العوامل الظاهرية التي ساهمت في تحول كربلاء الى قبلة

للوالهين، وقدوة للعاملين؟

صحيح أنَّ هذا تقدير الله وقد أخبر به الرسول ﷺ وقال له جبرائيل ماذا سيحدث للسبط الشهيد في كربلاء، وكيف ستتحول هذه المنطقة الى علم يرفرف ولا يستطيع أحد من طغاة الأرض ان ينكسه، كل ذلك صحيح ولكن لو أراد الله شيئاً فإنه تعالى يهيّء له الأسباب، وشاء الله أن تجري الأمور بأسبابها، فما هي الاسباب التي جرت الأمور على أساسها فأصبحت كربلاء كربلاء؟

أحاديث النبي والوصي والطاهرة فاطمة والحسن المجتبى عليهم السلام جميعاً، تلك الأحاديث التي بيَّنت فضائل أبي عبد الله الحسين عليه السلام وملاحم كربلاء قبل أن تتحقق، وكانت كلمة الإمام الحسن عليه السلام الشهيرة: (**لا يوم كيومك يا ابا عبد الله**)[1] لما لذلك اليوم من هول وعظمة، وبعد ذلك اليوم انتقلت الراية إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، فحملها ونشرها وأركزها، فحملها من كربلاء الى الكوفة وإلى المدينة، واستطاع أن يركزها في عمق المكان والزمان عبر أحاديث مباشرة وغير مباشرة، فنشر الراية عبر أساليبه الحكيمة، وكذلك الصديقة الصغرى هي الأخرى ساهمت عن طريق خطبها وبكائها وإقامة الشعائر الحسينية بالوانها في حمل هذه الراية.

أهل البيت ومشعل كربلاء

ومن بعد الإمام زين العابدين عليه السلام كان ذريته من أهل البيت عليهم السلام هم الذين يقيمون الشعائر والمجالس، ويشجعون الخطباء والشعراء عليها،

١. الأمالي (للصدوق) ص ١١٦.

من الامام الباقر عليه السلام، إلى الامام الصادق عليه السلام، الى الامام موسى بن جعفر عليه السلام، وحتى امامنا الغائب المنتظر الحجة عجل الله تعالى فرجه بتلك الأدعية والزيارات التي هزت التاريخ، كزيارة الناحية المقدسة وما أشبه.

وبعد ذلك أنتم أيها العلماء والخطباء، ونحن قد شرفنا الله بأن نحمل راية أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وهذه الشعائر سواء ساهم فيها الخطيب أو الرادود او من يقيم العزاء في المواكب أو الهيئات، أو من يعمل ويؤدي أي دور في هذا الاطار بأي نوع وأية شعيرة من الشعائر الالهية الحسينية، فإن هذه مساهمة في تحول مدينة كربلاء الى قبلة، وتحول عاشوراء الى مسيرة، وتحول أبي عبد الله الحسين الى ما هو عليه اليوم في قلوب الشيعة والعالم أجمع.

الخطيب الحسيني.. أفضل الأداء

ولكن اليوم وفي المرحلة التي تتصاعد فيها خطوط الصراع بمختلف أشكالها، ينبغي على الخطيب أن يحسن من أدائه، وأن يقوم بواجبه على أفضل وجه ممكن، فحينما نقرأ التاريخ ونتصفحه ونقرأ خطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة أو في الشام أمام الطاغية، أو خطبة الامام زين العابدين عليه السلام في الكوفة أو في مسجد دمشق، عندما نقرأ ذلك نجد في تلك الخطب أرقى درجات البلاغة، وأفصح الكلمات.

فالأئمة عليهم السلام وأصحابهم لم يكتفوا بأن يصبح الحق معهم وإنما اختاروا الوسائل الانجع والاقوى أيضاً، فعندما خطبت السيدة زينب عليها السلام، ثم الامام زين العابدين عليه السلام في الشام وفي الكوفة، فإن الأمور قد تغيرت

فيهما، واستطاعوا أن يكشفوا الزيف والتضليل الذي كانت السلطة الغاشمة تمارسه ضدهم، وذلك لما كان للخطاب من قوة وتأثير بالغ في النفوس.

فالحق الذي يمثل الحكمة بحاجة الى أن يتم عرضه بالشكل الذي يليق به، فالحكمة وحدها لا تكفي، إنما لا بد أن يكون معها خطاب فصلٍ قوي.

تطوير الأساليب

أولاً: نحن يجب أن نحسن من أدائنا سنة بعد أخرى، فلا يكن همنا تكرار ما مضى، ففي العام الماضي قرأت هذا الشعر واليوم أقرأ نفس القصيدة، هذا لا يصح، فربما توجد هناك أبيات جديدة لها تأثير أكبر.

وهكذا بالنسبة إلى الأخبار المرتبطة بالواقع ينبغي أن تكون معاصرة ومواكبة، لتكون جاذبة للمتلقي، وحتى فيما يرتبط بالسيرة، من سيرة الامام الحسين وملحمة كربلاء، فقد يظن البعض من الخطباء أنه قد أحاط بها من كل جهة، كلا؛ فهناك خبايا وآفاق لم يتطرق إليها الاولون، وهناك جوانب يجب أن نجتهد في معرفتها وبيانها للناس. وهكذا الأمر أيضاً بالنسبة الى تطوير أساليب طرح المصيبة. صحيح إن الناس على استعداد نفسي جيد لتلقي الخطاب الحسيني والبكاء والتفاعل مع مصيبة سيد الشهداء عليه السلام، ولكن مع هذا نحن بحاجة الى المزيد من الإبداع وتطوير الأداء، ليكون الخطيب والمنبر الحسيني دائماً غضاً طرياً جاذباً مؤثراً في قلوب الناس.

الحسين عليه السلام إمام كل العصور

ثانياً: ليس الإمام الحسين عليه السلام إماماً قد أدّى مسؤوليته في مرحلة من الزمن ثم انتهى كل شيء، ونحن اليوم ندرس تاريخه فحسب.

كلا؛ فالإمام هو إمام في تلك الحقبة وفي عصرنا وفي كل عصر أيضاً، فهو قد قتل واستشهد وذهب عند الله ولكنه لا يزال يسمع الكلام ويرد الجواب، ولايزال يتفاعل معنا ونتفاعل معه، وهذه الملايين من عشاقه وأتباعه ومواليه يزورونه في كربلاء او يتوجهون الى كربلاء في زيارتهم له عليه السلام من بعيد في ليلة الجمعة وسائر المناسبات المرتبطة به، إنَّ هؤلاء لا يزورون وهم يعتقدون أنه ميت كسائر الأموات، فحاشا لله أن يجعل الشهيد الذي هو أبو الشهداء في عداد الأموات، كلا.. فهو الشفيع المشفع الذي يشفع عند الله، والله يقبل شفاعته.

واذا كان هناك من يشك في ذلك فليسأل الملايين من زواره، وليرَ الكرامات التي ظهرت لهم حينما توجهوا نحوه، عليه صلوات الله وسلامه أبداً ما بقي الليل والنهار. توجههم الى كل من كان في ركب الامام الحسين عليه السلام، من أبي الفضل العباس عليه السلام، والقاسم وعلي الاكبر وحتى الاصحاب، استنطقوهم وقدموا لهم استبياناً لتروا الحقيقة بأعينكم. فالامام الحسين عليه السلام حي يرزق، ومعنى ذلك اننا يجب أن نجعل من أبي عبدالله الحسين عليه السلام قدوة لكل زمان، وإماماً لكل عصر، وهادياً لكل أمة على مر الاجيال والتاريخ. لأنه وسائر الائمة المعصومين عليه وعليهم السلام يمثلون القرآن، والقران يبقى حياً ما بقي الدهر.

فعلينا اليوم أن ندرس حاجتنا الى إبي عبد الله الحسين عليه السلام، وحاجة المجتمع الإسلامي بشكل عام، ونستوحي ونستنطق ونستلهم من سيرته ما ينفع الناس ليكون علاجاً لدائهم، وليكون سبيل الاقتداء به واضحاً

أمامهم، وبالشكل الذي يناهض ما يعيشونه من تحديات ومشاكل، ذلك لأنه مصباح هدى وسفينة نجاة لكل عصر ولكل مصر.

***

قضية الحسين بين القشور واللباب

كلمتي الى خطباء المنبر الحسيني:

إذا ارتقى أحدكم منبراً وصار يقرأ الأبوذيات بصوته الجميل، فهذه أبوذية، وهذا شعر، وهكذا يسترسل بالكلمات التي تثير الشجون والأحزان، هذا أمر في غاية الأهمية والاستحباب، فاستدرار الدموع على أبي الأحرار عليه السلام من أساسيات القضية الحسينية، وكما ورد في الحديث الشريف عن أهل البيت عليهم السلام في فضل البكاء على الحسين عليه السلام: (مَنْ بَكَى أَوْ أَبْكَى غَيْرَهُ ولَوْ وَاحِداً ضَمِنَّا لَهُ عَلَى اللهَّ الْجَنَّةَ ومَنْ لَمْ يَتَأَتَّ لَهُ الْبُكَاءُ فَتَبَاكَى فَلَهُ الْجَنَّة)[1]، ولكن عليه – إضافة الى ذلك – أن يأتي بكلمات الحسين عليه السلام أيضاً، وأن يتحدث عن رسالة الحسين عليه السلام الى العلماء على سبيل المثال، التي يقول فيها الإمام عليه السلام: **(ذَلِكَ بِأَنَّ مَجَارِيَ الْأُمُورِ والْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللهَّ الْأُمَنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِه)**[2]، فيبينِّ ما للعلماء من أهمية في الحفاظ على الدين والمجتمع، وما لهم وما عليهم من واجبات.

وعليه أن يتحدث للناس كيف أن الإمام الحسين عليه السلام تحدث عن

---

١ . مثير الأحزان، ص١٤.

٢ . تحف العقول، ص٢٣٩.

علماء زمانه، وهم علماء الفتنة في كل زمان، الذين تركوا الجهاد وتركوا العمل وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقدوا مراكزهم، وتحدث للناس عن دعاء الإمام الحسين يوم عرفة وما فيه من مضامين عالية وتوجيهات ضرورية لبناء المجتمع على مختلف الأصعدة.

قد يعلِّل البعض من الخطباء أن سبب التقصير في هذه الجوانب يرجع الى ضعف الذاكرة، فأقول: لماذا خلق الله إذاً الكتاب والقرطاس؟ اذهب الى المنبر واقرأ في القرطاس، فلا اشكال في الأمر، ذلك لأن الناس يريدون أن يسمعوا كلام الإمام الحسين عليه السلام، مع تفسيره لهم وربطه بواقعهم والاستفادة منه قدر الإمكان.

وهكذا أيضاً يشتاقون لخطب زينب عليها السلام، وكلمات وخطب الإمام زين العابدين عليه السلام. فأئمتنا ملأوا الخافقين حكمة وبلاغة، فأين نحن من تلك الحكمة؟ أين نحن من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد البلغاء والحكماء؟

قبل ثمان وثلاثين سنة كنت في أمريكا في بلد فيها يسمى ألباني، دعاني أحد الأخوة وهو من أهالي كربلاء وذهبت الى بيته، وإذا باحتفالية برأس السنة الميلادية، فدخلت، فطلبوا مني التحدث، فرأيت أنهم في أجواء فرح وكان الحضور من المسلمين سنة وشيعة، وكذلك من المسيحيين، وكان لقاء بين الأطباء من تلك المنطقة، فارتأيت بتوفيق الله أن أقرأ لهم خطبة من خطب نهج البلاغة، فبدأت أقرأ لهم إحدى خطب الإمام علي عليه السلام عن الدنيا:

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا (قَدْ) أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ

وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ. أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ. أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟)[1].

فبدأت بالخطبة واسترسلت بها، وكان من جملة الحاضرين طبيبٌ سوري، وكان يجيد الحديث باللغة العربية، فبدأ يترجم ما أقوله لهم، أنا أقرأ بالعربي وهو يترجم باللغة الانجليزية، فساد الهدوء فيهم جميعاً، وربما بكى بعضهم لشدة تأثير الكلمات عليه.

فهذه خطبة واحدة من خطب الامام علي عليه السلام، هكذا وقعها في النفوس، فكلام علي أرفع كلام بعد كلام الله، فهو فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ولقد تجلّت آيات القرآن في نهج البلاغة، فلماذا لا نحفظه؟ ولماذا لا نتحدث به؟ ولماذا لا ندرِّسه؟ فإن لم نفعل، ذلك يعني أننا تركنا الجوهر واللباب وذهبنا الى الأمور الثانوية والقشرية، تركنا جوهر منهج أهل البيت ومنهج الإمام الحسين عليه السلام، وتمسكنا بالمظاهر والسطحيات فقط.

***

١ . نهج البلاغة (صبحي الصالح)، الخطبة٢٨، ص٧١.

دور المبلغين والعلماء في شعيرة المشي للزيارة

شعيرة المشي الى الزيارة هي شعيرة من الشعائر الإلهية، وهي شعيرة مستحدثة، بدأت من المشي إلى كربلاء، وتوسعت إلى أماكن أخرى، فكما أن هناك من يأتي مشياً إلى الإمام الحسين عليه السلام، فإن هناك أناس أيضاً صاروا يمشون إلى الإمام الرضا عليه السلام في مشهد، وإلى السيدة زينب في سوريا، وفي لبنان أيضاً توجد بعض المسيرات، فهذه الشعيرة بدأت تأخذ مداراً أوسع، وربما يأتي يوم فتنتشر إلى العالم كله، فيقصدون مكاناً مقدَّساً يسيرون إليه على الأقدام، لكي يعبِّروا عن إيمانهم.

لماذا المشي الى الحسين؟

وإذا كان هناك من يستشكل على هذه الشعيرة ويقول: لماذا تمشون على أقدامكم؟!

نقول في الجواب: لماذا يقوم الناس في عالم اليوم بما يسمى بالتظاهرات؟ فهل يحل لهم أنْ يتظاهروا لاجل الدفاع عن حقوقهم، وأكثرها قد تكون وضيعة وربما فاسدة، ولا يحل لنا نحن أنْ نتظاهر مشياً على الأقدام من أجل الدين وحمل راية الحسين عليه السلام؟!

إنَّ هذه المسيرات تحولت إلى شعيرة مهمة ولها ثقلها واهتمامها، ولذلك فإنَّ مسؤوليتنا مضاعفة تجاهها، فنحن بحاجة إلى تخطيط مسبق لهذه الشعيرة الكبيرة، بالشكل الذي يتلاءَم مع حجمها في الاستفادة منها وتغذيتها بالمستوى المطلوب، فكما أن المجلس يمثل إحدى الشعائر الحسينية، فمن أجل أن ينجح ويؤدي غرضه لا بد أن يكون فيه منبر، ولا بد أن يتم التنسيق مع الخطيب، وهكذا لا بد من دعوة الناس وما شابه، كذلك الأمر بالنسبة إلى المسيرات المليونية التي تقصد الإمام الحسين عليه السلام، فنحن أيضاً بحاجة إلى تأدية بعض الأدوار النوعية ذات الأهمية العالية فيها.

طريق الصلاح والإصلاح

نحن أحوج ما نكون إليه في هذه المسيرات هو العملية التوجيهية والإصلاحية، فهؤلاء الزوار الذي يقصدون الحسين عليه السلام هم بحاجة إلى من يصلحهم، وبالطبع ليس القصد بأنهم غير صالحين، كلا؛ بل إنما هم بحاجة الى المزيد من الصلاح والإصلاح، فالذي جاء سيراً على أقدامه وقطع مئات الكيلو مترات، فإن دافعاً إيمانياً دفعه وألهمه هذه العزيمة والإصرار، فيكون قد جاء إلى الامام الحسين عليه السلام برغبة شائقة وايمان متلهف، ولكنه يبقى محتاجاً إلى المزيد من الوعي.

وهكذا لا بد أن نقول لكل واحد منهم: أيها الزائر.. أيها الحسيني.. أنت أتيت إلى الامام الحسين عليه السلام، فلا بد أن تعرف أيضاً لماذا خرج الحسين عليه السلام؟ كما وأن هذه الأخلاق العالية التي انعكست عليك وأنت تسير الى كربلاء، لا بد أن تستمر معك حتى بعد رجوعك من كربلاء، وهذا

هو الأهم، لكي تكون حياتك كلها مصطبغة بصبغة الأخلاق الحسينية المتميزة.

العلماء ومسؤولية الإصلاح

ولكن من الذي يقوم بهذا الدور؟

إنهم علماء الدين، ذلك لان هدفهم الأول هو الاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالأساس إنَّ هذا هو نهج وحكمة وجودهم، فإذا كان القلم لا يكتب، فما فائدته؟! كذلك الانسان العالم الذي لا ينصح ولا يوصي ولا ينهى عن المنكر، فماذا يرجى منه؟ فيكون كما السيارة التي لا تتحرك، وكالساعة التي لا تضبط الوقت.

ما الفرق بين العابد وبين العالِم المتديّن؟ الفرق بينهما كما الفرق بين الشمس وسائر الكواكب كما في الأحاديث الشريفة[1] ، ذلك لأن العابد لا يهمه سوى نفسه، بينما العالِم المتدين ينقذ نفسه والآخرين معه، فنحن أيها الأخوة العلماء والخطباء هذه صفة وجودنا ومسؤوليتنا، وهذا الوجود وبهذا الموقف وجود مبارك، لأن الله تعالى لا يهلك قرية بظلم ما دام فيها من يقوم بدور الإصلاح: ﴿**وَمَاكَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[2].

ولذلك ينبغي علينا أن نكون في هذه المسيرات المليونية، فنمشي معهم،

---

١ . قال النبي ﷺ: (إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْكَوَاكِبِ) ﴿بحار الأنوار، ج٢، ص١٩﴾.

٢ . سورة هود، آية ١١٧.

ونؤدي الدور المعنوي تجاههم، أما الجوانب المادية فإن الشعب العراقي قد عُرِف بكرمه وتضحياته الكثيرة من أجل تأمين الجوانب المادية بجميع أشكالها، فالذي يذهب إلى الحج وينتقل من عرفات الى مشعر الحرام، ومن مشعر الى منى، ومن منى الى مكة، لا يرى ماءً ولاشياً ولا مكان استراحة، بل وأنك تكون على استعداد لتعطي الأموال من أجل قليل من الراحة، بينما هنا في شعيرة المشي إلى كربلاء تأتي من البصرة إلى كربلاء أو من الكوت الى كربلاء أو من اي نقطة أخرى الى كربلاء، فتجد أمامك المواكب والهيئات والخدمة الحسينية على أحسن وجه، وربما أفضل من الخدمة التي تحظى بها في بيتك.

دور الناس والعلماء في خدمة الحسين (ع)

وليكن في علم كل فقيه وكل عالِم وكل من يتحمل تبليغ القضية الحسينية أن كثيراً من أفراد هذا الشعب الكريم تجده قد اقتطع من طعام أولاده، وضيَّق على نفسه طيلة أيام السنة، من أجل توفير لقمة الطعام إلى زائر الحسين عليه السلام، قد لا يستغرب أحد من المؤمنين من هذا الكلام، ولكن لو تحدثنا بهذا الكلام في مكان آخر لأخذتهم الدهشة والغرابة، وربما مرَّ في أذهانهم أن هذا كلام مبالغ فيه، ولكن الذي يبيع بيت سكناه، وربما لا يملك سوى هذا البيت، ثم يأتي ليؤسس موكباً في منطقته أو على طريق الزائرين، ليخدمهم ويتقرب بهم إلى الإمام الحسين عليه السلام، إنَّ هذا الأمر ليس شيئاً هيّناً أو بسيطاً، إنما هو لعمري عمل عظيم قل نظيره.

فيا اخواني أيها العلماء! كما قام ذلك الإنسان البسيط بعمله ودوره في

الجانب المادي وحسب قدرته واستطاعته، كذلك على كل واحد منكم أن يقوم بدوره في الجانب المعنوي، فلا بد من مسايرة الناس، والتحدث معهم، والعيش معهم، فالتأثير يأتي من الكلمة الطيبة والخلق الحسن، والنقاش في المسائل الشرعية والشبهات وما شابه من احتياجات الناس الفكرية والثقافية والمعنوية، والأجر هنا أكبر، والعناية الإلهية والألطاف الحسينية ستغمر حياتك. هذه هي مسؤوليتنا.

العلماء وراية الإصلاح

فإذا انطلقت المسيرة وانطلق المشاة إلى كربلاء ينبغي أن نكون في مقدمتهم وفيما بينهم، لا أن نكون خلفهم، ذلك لان الراية يجب أن تكون بيد العالم، ومادامت الراية بيده ينبغي أن يكون هو صاحب الدور الأبرز، والذي يتمثل في الحضور الواعي والمميز بين الناس، وأداء النصح والتوجيه، وكل ما يتطلب وجوده يبادر إليه ويؤدي ما عليه من حق على أكمل وجه وأبهى صورة.

فالشاب اليوم حينما ينطلق من مدينته سيراً إلى كربلاء، فقد يكون مظهر الشاب وأخلاقه وسلوكياته بالشكل الذي هو عليه، ولكنه حينما يبدأ بالمشي، ويقطع المسافات البعيدة، تشمله نظرة الإمام الحسين عليه السلام، فيحدث فيه تحوّلٌ عميقٌ، فإذا به يتبدل إلى شخص آخر، فيبدأ بالبحث عن شخص مناسب ليبث إليه همومه، ويأخذ منه النصيحة التي يحتاجها، فإلى من يذهب إن لم يكن لأهل الإصلاح الحضور المميز والوجود الكافي بين الملايين من الناس المشاة إلى كربلاء؟

فكم من انسان في هذا الطريق المبارك كان على غير نهج أهل البيت عليهم السلام، ولكن الله وفقه بشكل أو بآخر حتى يشارك المشاة في مسيرتهم، فلما صارت قدماه تخطو الخطوات إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، أخذ الله بيده وهداه إلى الإيمان، فوجود العلماء بين هؤلاء الشباب في غاية الضرورة، وخدمتهم في هذا الجانب تعطي للخادم الناصح أجره وأجر من ينصحه أيضاً.

فحمل راية الإصلاح في المجتمع فلسفة وجودنا كعلماء وخطباء ومبلغين، والناس كانوا عبيد الدنيا قبل شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولكن بعدما استشهد اهتدوا الى الدين، فأنقذهم سيد الشهداء من الضلالة وحيرة الجهالة. وهذا ما بينه الإمام الحسين عليه السلام قبيل خروجه من المدينة إلى كربلاء.

اسأل الله تعالى ان يوفقنا للقيام بهذه المسؤولية الكبيرة، وأن يجمع كلمتنا ويسدد خطانا، وأن يجعلنا من أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض.

***

ثانياً: بناء المجتمع الإسلامي

الخطيب الحسيني ومسؤولية بناء الأمة

تتعدد الشعائر الحسينية، والمنبر الحسيني هو إحدى هذه الشعائر العظيمة، ولكل شعيرة متطلباتها وحجم مسؤوليتها، ومسؤولية هذه الشعيرة كبيرة جداً، وثقيلة، فما هي المسؤوليات التي تقع على عاتق الخطيب الحسيني.

قبل كل شيء، هناك مسألة مهمة لا بد أن نلتفت إليها؛ وهي أن الناس لا يجتمعون بهذا الحجم الغفير كما يجتمعون في أيام شهر محرم الحرام، لِمَا لهذا الشهر من خصوصية، إذ أنه يمثل صوت أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فاجتماع الناس، صغيرهم وكبيرهم، رجالهم ونسائهم، هو إحدى غايات سيد الشهداء عليه السلام، فإذا اجتمعوا يجب أن نعطيهم مفاتيح تجعلهم ينطلقون، ورؤية تمكنهم من التحول والتغير إلى ما يصلحهم وينفعهم في دنياهم وأخراهم، لا أن نكتفي معهم بطرح التفاصيل فحسب، فالتفاصيل عادة تذهب وتُنسى، بينما الرؤى العميقة والمفاتيح الرئيسية التي تمثل طريقة في التفكير والتحرك، تبقى واضحة في الأذهان، وعلى أساسها يسيرون، وبها يستقيمون إن شاء الله.

جهاد الخطيب

ثم لا بد من ملاحظة أخرى؛ حينما يرتقي الخطيب المنبر، فإنه قد وضع نفسه موضع الجهاد، وموضعه أهم وأكثر تأثيراً من الإذاعة على سبيل المثال، فخطباؤنا وعلى مر التاريخ قاموا بدور عظيم في توجيه الناس والحفاظ على دينهم، وقد دخلوا إلى قلوب الناس بكلماتهم وتوجيهاتهم، فقد يتحدث الذي وراء الإذاعة ولا يجد من يسمعه، ولكن الخطيب إذا تكلم فإن الناس يتأثرون بكلامه ويستمعون له، لما له من شرعية واحترام وهيبة في قلوب الناس.

ومن أهم المفاتيح التي يجب أن نركز عليها ونحن نتحدث مع الناس من على المنبر هي النقاط التالية:

أولاً: الاهتمام بالقرآن الكريم

الحسين عليه السلام هو القرآن الناطق، والقرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الصامت، ولن يفترقا أبداً، ذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما تحدث عن الثقلين قال:(**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**) ومعنى ذلك أن الهداية تتركز في الثقلين، وأكمل قوله: (**أَلَا وَهُمَا الْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**)[1] . فمن تحدث عن القرآن تحدث عن الإمام الحسين عليه السلام، ومن تحدث عن الإمام الحسين عليه السلام فقد تحدث عن كتاب الله، ذلك لأن القرآن كان خُلُقُه، وسلوكه وهدفه، وفي

١ . الأمالي (للصدوق)، ص٤١٥.

ليلة عاشوراء – تلك الليلة العصيبة التي ربما لم تمر على أحد مثل تلك الليلة في حزنها وعنفوانها – في تلك الليلة استمهل القوم ليقرأ القرآن، وهكذا بعد مقتله صار رأسه الشريف يقرأ القرآن وهو على رأس رمح طويل، فكان الحسين عليه السلام هو القرآن، وكان القرآن هو الحسين عليه السلام.

اذن علينا أن نولي الأهمية الكافية للقرآن الكريم في مجالسنا الحسينية وبين تضاعيف كلامنا، فنوجه الناس اليه، فهو حبل الله المتين، والعروة الوثقى، وهوالشفاء والضياء والفرقان، وهو النجاة والحياة، فيلزم على كل واحد منا وهو يؤدي الدور التبليغي، وبأي شكل كان، أن يدفع الناس للإهتمام بالقرآن، وأن يدعوهم لتعاهده في الليل والنهار، وقراءته والتوجه اليه.

وإذا أصبح مجتمعنا مجتمعا قرآنيا فلا خوف عليه، لأنه سيستمد النور ويستمد الروح والعزم من مصدرهما الأصيل، فيكون قوياً بتلك الروح، شديداً على مواجهة الصعاب، كما المجتمع القرآني الأول عند فجر الإسلام.

ثانياً: الاعتصام بأهل البيت عليهم السلام

ينبغي توجية الأمة نحو التمسك الحقيقي بأهل البيت عليهم السلام، وعدم الاكتفاء بالولاء اللفظي والعاطفي، وهذا التمسك يتمثل بالأمور التالية:

الأمر الاول: كلماتهم المضيئة

شاء الله تعالى أن تكون كلمات أهل البيت عليهم السلام هي كلمات الحياة،

فمنها يخرج النور ليضيء لنا الدرب، فربَّ كلمة من إمام غيرت واقع انسان بأكمله، فيجب أن تتحول هذه الكلمات في مجتمعنا الى مسيرة حياة، فالمجتمع اليوم - وكل مجتمع - يتعرض لأمواج من الفتن المتسللة والمتسربة عبر الفضائيات والأنترنت والكتابات المسمومة المختلفة، والخ... ويتعرض إلى تيارات هائلة من المعلومات المزيفة، التي تخلط بين الحق والباطل، فتخلق واقعاً من الشبهات والأكاذيب، فكيف يمكن للمجتمع أن يميز بين الحق والباطل في مثل هذه الظروف؟ وكيف يمكن أن يواجه التضليل الذي يتعرض له في كل يوم؟

إنما يمكنه ذلك بالعودة الى كلمات أهل البيت عليهم السلام، فلا بد من توجيه المجتمع الى كلمات أهل البيت عليهم السلام، والى نهج البلاغة، وإلى الصحيفة السجادية، وإلى كتب مهمة جمعت في ثناياها وصايا النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، كتحف العقول للمحدث الكبير الحرّاني، والكتب الأخرى التي تُعدّ من أمهات الكتب الشيعية الأصيلة.

وسابقاً حينما كانت تزف العروس الى بيت زوجها كانوا يحملون معها عدة الحياة الزوجية، ومنها كتاب الله الحكيم، ونهج البلاغة، والصحيفة السجادية، فكل عروس كان يحمل معها الى بيت زوجها هذه الكتب الثلاثة، وكان شيعة أهل البيت يفترضون أن هذه الكتب من أسباب البركة، وكانت حينها صعبة الحصول، صعبة المنال.

فما بقي من أهل البيت عليهم السلام أولاً هو كتبهم وكلماتهم المضيئة، ولا بد أن نوجه الناس إليها، ونقول لهم: أيها الناس.. استشهد الامام الحسين عليه السلام في كربلاء ولكنه وقبل شهادته، خلال عشرة سنوات من أيام تصديه للإمامة، كانت له رسائل وكلمات وإضاءات، فلو اكتفينا فقط بدراسة دعاء

الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة، هذا الكنز الكبير من كنوز أهل البيت عليهم السلام، لرأينا كيف يوجهنا الى الله والى أنفسنا، وكيف سيغير واقعنا.

الامر الثاني: سيرتهم المباركة

على الناس أن يهتدوا الى سيرة النبي وأهل بيته عليهم السلام المضيئة، فإمامنا زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام يقول: **(كنا نعلِّم مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نعلِّم السورة من القرآن)**[1] . ومعنى هذا الحديث أن الإمام عليه السلام كان يأخذ دروساً من معركة بدر وأحد وحنين وغيرها، ويستلهم منها العبر والعزائم والتعبئة الروحية، وكذلك سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وسيرة الحسن والحسين عليهما السلام والأئمة من بعدهم.

يجب أن نحدث الناس ونقول لهم: يا أيها الناس.. أنتم الموالون لأهل البيت عليهم السلام إقرأوا سيرتهم، واقرأوا ما تعرضوا له، فلا يكفي الاستماع من المنبر، إنما الخطيب يؤدي دور التذكير والإشارة إلى بعض جوانب السيرة الطاهرة، وبالإضافة إلى هذا بحاجة الى أن تدرسوا السيرة وتقرأوا ما كتب فيها من كتابات موثوقة، لكي تشرق عليكم شمسهم فتنير حياتكم وتصطبغ بصبغتهم، وإلا كيف يكون الاهتداء بهداهم ما دامت المعرفة منحسرة تجاههم، والحديث الشريف يقول: **(فَإِنَّ النّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحاسِنَ كَلامِنا لاتَّبَعُونا)**[2] ، فلو تعرف كل واحد منكم على سيرتهم لما وسعه إلا اتباعها والاقتداء بها.

---

١ . البداية والنهاية، ابن كثير، ج٣، ص٢٩٧.

٢ . عيون الاخبار الرضا، ج١، ص٣٠٧.

الأمر الثالث: مراقدم الشريفة

الذي بقي لنا من اهل البيت عليهم السلام أيضاً مراقدهم الشريفة، من النجف الاشرف إلى كربلاء والبقيع وسامراء والكاظمية ومشهد الرضا، فهذه المراقد الطاهرة هي بركة الأرض وأمانها، وهي معراج أعمالنا الصالحة، فأعمالنا لا تصعد إلى السماء إلا أن تمر عليها، وإن شاء الله ترتقي إلى أعلى عليين، ﴿**إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ. كِتَابٌ مَرْقُومٌ. يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[1] فلا بد أن يشهد عليه الأئمة الأطهار عليهم السلام فهم المقصودون بهذه الآية الكريمة. فلا بد أن ندعو الناس الى الاهتمام بزيارة المراقد الطاهرة والالتفاف حولها، والتقرب إلى الله بها، فهي أبواب رحمة الله.

أما الذين صاروا يشككون بالمراقد الطاهرة، ويقولون: من قال إن هذا ابن فلان؟ فإنَّ هذا التشكيك صعب، لأنك قد تشكك في أمرٍ مسلَّم به، فهؤلاء السادة هم من أهل البيت عليهم السلام الذين توزعوا في الأرض فصاروا منتشرين في كل مكان، فأينما تذهب تجد مرقداً وعَلَماً، وهم في الحقيقة يذكِّروننا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكِّروننا بتلك الملاحم، وأكثرهم قضوا نحبهم شهداء في سبيل الله في انحاء الارض، في ليلة مظلمة ومنطقة نائية، فلأن الواحد منهم كان ينتمي إلى رسول الله كانوا يأخذونه ويقتلونه.

أما اليوم فإن لنا الحق أن نذهب عند هذه النفوس الطيبة ونسلم على النبي ونسلم على أهل البيت ونسلم على النبيين ونسلّم على صاحب المرقد، ونستشفع به الى الله وبدمه، فهؤلاء هم أحياء عند الله، فلا نلقي بأنفسنا بهذه

---

١ . سورة المطففين، الآيات (١٨ – ٢١).

التشكيكات، وللعلم فإنَّ هذه المراقد ليست مقتصرة على بلداننا، بل هي منتشرة حتى في البلاد التي كان فيها احتلال الاتحاد السوفياتي في السابق، كآذربيجان وطاجاكستان وكازاغستان، فهذه المناطق فيها مراقد للأولياء، والناس يذهبون اليها، ففي شمال افريقيا وفي المغرب وفي منطقة فاس في الجزائر، وفي مناطق كثيرة في مصر، وحتى في اندونيسيا، فإذا ذهب أحدنا يوماً إلى اندونيسيا لا ينسى زيارة السيد عيسى، وهو أحد أبناء أو أحفاد الامام الحسن المجتبى عليه السلام، فهؤلاء السادة تفرقوا في الأرض وشتتهم أيدي الظلم، حيث كان الطغاة يتعقبونهم، فكانوا يلجأون الى البلاد البعيدة، وكانوا إما يستشهدون أو تأتي منيّتهم فيموتون في الغربة ويُدفنون هناك، فتبقى مزاراتهم موضعا للكرامة الالهية.

الأمر الرابع: العلماء بقية أهل البيت عليهم السلام

وأخيراً الذي بقي لنا من اهل البيت عليهم السلام، والذي ورثناه منهم، هو خطهم الرسالي المتمثل بالفقهاء والعلماء، فالأئمة عليهم السلام هم الذين أعطوا الراية بأيدي العلماء الصادقين، فإمامنا الغائب الحاضر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قال: (**وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وأَنَا حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِم**)[1]، فهذه كلمة عظيمة رسمت لنا طريقا سليما للحق نسير به، ويحفظنا من الزلل والإنحراف.

فهذه هي مسؤوليتنا الرئيسية في توجيه الناس، والتي تتمثل بالثقلين، القرآن والعترة، فإذا استطعنا أن نرسخ هذه المفاتيح في حياة كل فرد

١ . كمال الدين وتمام النعمة، ج٢، ص٤٨٤.

من أفراد المجتمع، فإننا قد حققنا معهم الكثير، ورسمنا أمامهم طريق الاستقامة واضحاً، والثمار حينها ستكون طيبة من هذا المجتمع المتمسِّك بالقرآن وبأهل البيت تمسّكاً حقيقياً.

***

التغيير الجذري

بين التربية والتزكية

التربية والتزكية في منطق الاسلام وفي رؤية الوحي بينهما فرق، ولكل مفردة خصوصيتها، فما المائز بين كلمة التزكية وكلمة التربية؟

بإمكاننا أن نقول تربية الدواجن، ولكن لا يمكن أن نقول تزكية الدواجن، وهكذا نقول تربية الخيول، ولا نقول تزكية الخيول، لماذا؟

المفهوم العميق للتزكية أنها تأتي بمعنى التطهير، فقام بتزكية الشيء أي طهَّره من الأدران والشوائب، وإنما سميت الزكاة بهذا الاسم لان المال يطهر عن الحرام: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]، فالزكاة هنا جاءت بمعنى التطهير، أي تطهير النفس من الشح، وتطهير المال عن الحرام، فإذا كان هناك مال حرام مختلط مع اموالنا من دون أن نعلم، فإن الزكاة تزكيه وتطهره.

وكذلك أيضاً إذا قمت بتزكية الشجرة عن الديدان والآفات، فإنَّ هذه الشجرة سوف تنمو وتكبر، وهذا هو المعنى الثاني للتزكية أي: التنمية،

---

١ . سورة التوبة، آية ١٠٣.

حيث قالوا: الزكاة نماء، أي تنتهي إلى النماء.

ولكن يبقى المعنى المختار والمقدم هو المعنى الأولى، فالزكاة تعني التطهير، وحينما نقول فلان زكّى نفسه، أي طهَّر قلبه، ومعناه أن القلب كانت عليه الغفلة والجهالة والشهوة والحمية والحقد، فالتزكية أزالتها، فرجع القلب الى نقائه.

وإذا رجع القلب نقياً، فحينها لا يحتاج الى التربية، ذلك لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَاسَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾. فكما الدر حينما تأخذه من الصحراء، ثم تقوم بعملية (**الحكاكة**)، وهي عملية تصفية الاحجار الكريمة من الشوائب المتعلقة بها، فإذا أزلت الزوائد التي تحجبه وخرج الجوهر، حجر الدر الحقيقي، حينها سترى إشراقته، فلا يحتاج أن تعطيه إشراقة أخرى، كذلك الذهب حينما يتم تنقيته يصبح لامعاً براقاً، من دون أن تعطيه شيئاً آخر.

أماالتربية فتعني الإضافة، فالدواجن نضيف لها الطعام والدواء وما شاكل لكي تنمو، ولكن الانسان لا يحتاج الى ذلك وانما هو بحاجة الى التزكية، فإذا قام الإنسان بتزكية قلبه، حينها يتبين له الطريق واضحاً إلى الحق والهدى، وحينها يبدأ القلب مقبلاً على الحقائق: ﴿**فِطْرَةَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، فهذه هي فطرة الله الَتي أودعها في كل واحد منا، وقد شاء أن يجعلها هكذا.

---

١ . سورة الروم، آية ٣٠.

فإذا قمنا بواجبنا بتزكية النفوس، فإن النفوس إذا طهرت لا يسعها إلاّ أن تنهج طريق الصلاح، ولذلك ربنا يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[1]، فالتزكية هي الهدف الأول من رسالات الأنبياء عليهم السلام.

التغيير الجذري

وكما هو واضح إنَّ مسؤولية هداية الناس وحمل رسالة الأنبياء ورسالة أهل البيت عليهم السلام في زمن الغيبة يقع على عاتق المصلحين من أبناء الأمة، والذين يتمثلون في العلماء والخطباء والمبلغين وكل من له قدرة على أداء هذا الدور الرسالي العظيم، عبر الخطاب أو الكتابة أو ما شابه، فتزكية النفوس هي أحد واجباتنا وتكاليفنا الرسالية بل ويقع في مقدمتها، وهذا الواجب يهدينا الى طبيعة عملنا، ونحن حينما نقول للشخص الرسالي أنه مربي فإن استخدام كلمة التربية يكون مجازاً، وإنما عمله الرئيسي التزكية، فهو الرسالي المزكي، لذلك فهو بحاجة الى عنفوان وزخم روحي قوي، لكي يرجع كل فرد من أبناء المجتمع الذي يتعامل معه الى فطرته ونقائه وحقيقته، سواء بالتعامل الفردي، أو بالتعامل الجماهيري كما هو الحاصل في المجالس الحسينية وخطابات المنبر الحسيني.

فأصحاب التربية يقولون للطفل عندما تريد عبور الشارع انظر يميناً ويساراً لكي لا تأتي سيارة فتصدمك، وعندما تذهب الى البيت قبِّل يد

---

١ . سورة الجمعة، آية ٢.

أمك واسمع كلام أبيك، وهذا وأمثاله كلام المختصين بالتربية للأطفال، وربما يزيدون بالتحذير من الكذب والحقد وبعض الأمراض الأخلاقية المتفشية بين الناس.

ولكننا حينما نتكلم مع الطفل نقول له: لا تكذب، لان الكذب انحراف ودجل وهو لا يليق بك، فأنت انسان، والانسان يجب ان لا يكذب، وقلبك نظيف أبيض فلا تجعله يتسخ ويكون أسود فتعيش حياة غير سعيدة.

وهكذا نشجعه على الصدق ونقول له: إنَّ الصدق نجاة، وبهذا الاسلوب نأخذه الى العمق، نوصله الى فطرته ونفسه، كما ونقول له: أنت من أهل الجنة فلا تذهب الى اهل النار، وبهذه العملية التوجيهية الجذرية نرجعه الى عقله وقلبه ونقائه الحقيقي، ولذلك تكون تربيتنا وتزكيتنا مؤثرة، وربما نجلس ساعة واحدة مع الفرد فيتحول بسببها إلى إنسان طيب إلى آخر لحظات عمره.

جاء في حديث أن صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1] . فقال حسبي، ما أبالي ألّا أسمع من القرآن غير هذا[2] .

فقد حصل هذا الرجل على خلاصة وعمق وروح الرسالة الإلهية من خلال هاتين الآيتين، فهذه هي التربية، ولا بد أن يكون عملنا بهذا المفهوم العميق، والتغيير الجذري، ولكن كيف الطريق إلى التربية الجذرية؟

---

١ . سورة الزلزلة:٧و٨.

٢ . أمالي المرتضى، ج٢، ص٢٨٤.

الطريق الى التربية الجذرية

إن سلوك الإنسان يعتمد على أخلاقه وصفاته الداخلية، وكل فعل يصدر منه يعود إلى صفة أخلاقية في داخله، والأخلاق هي الأخرى تعتمد على البصيرة.

فإذا كانت البصيرة سليمة فإن الأخلاق تكون سليمة أيضاً، أما إذا كانت البصيرة ملوَّثة وغير سليمة، فإن الأخلاق أيضاً ستكون ملوَّثة وغير سليمة، ومن هنا نفهم سبب تفاوت الناس في درجات إيمانهم وسلوكياتهم، فهذا يؤمن بالآخرة بشكل وذاك يؤمن بشكل آخر، وشخص مؤمن تجد فيه صفة التواضع، وآخر مؤمن أيضاً ولكن تجد فيه صفة التكبر، فالكبر والتواضع صفتان تنطلقان من بصيرة الانسان وعقيدته ورؤيته، إن صحيحة أو خاطئة.

معالجة البصيرة أولاً

فإذا عالجنا البصيرة وقمنا ببلورتها لدى الفرد، وإبعاد كل ما يضرها ويشوبها، وقمنا بتغذيتها بما يجعلها أكثر وضوحاً وصفاء، وفي ذات الوقت أوصلنا شعاعها إلى الأخلاق، وبيان انعكاس البصيرة وأثرها على الأخلاق، والأخلاق على السلوك، فإن الفرد سيتربى تربية جذرية عميقة، وحينها لا يُخشى عليه.

فعلى سبيل المثال: نحن بحاجة الى تربية انسان على العدل والانصاف وإحقاق الحق في حياته، وعدم ظلم الآخرين، فنقول له: انت ليست وحدك

في هذه الدنيا، فهناك أشخاص آخرون موجودون معك، وهذا الوجود ووجود الخلق بعظمته يقتضي الايمان بالله الخالق الحكيم، وهذا الإيمان يقتضي الإيمان بآياته، والإيمان بآياته يقتضي الايمان بحقوق الآخرين وسائر الأشياء التي في هذه الحياة، لأن الله تعالى هو الذي خلق، وهو الذي أراد منا الالتزام بسننه وأحكامه، لكي نكون على خط طاعته، وعلى خط النور والهداية، وأمرنا أن نعطي كل شيء حقه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: **(اِتَّقُوا اللهَ في عِبادِهِ وبِلادِهِ، فإنّكُم مَسؤولُونَ حتّى عنِ البِقاعِ والبَهائمِ)**[1]، فالبقعة التي انت فيها مسؤول عنها، وكذلك البهائم والحيوانات الموجودة في الأرض يحاسَب الإنسان على كيفية التعامل معها.

فالذي يستحوذ على مساحات واسعة من الأرض في الصحراء، ثم لا يقوم ببنائنا ولا استصلاحها ولا زرعها أو الاستفادة منها، وبذات الوقت يحرّمها على الناس، فإنه يُسأل عنها يوم القيامة، فيقال له: لمَ لَمْ تعمرها؟

وهكذا من يملك حديقة أمام داره أو في بيته ولا يزرعها ولا يستصلحها ثم يرمي النفايات فيها، ثم يتسبب بموت النمل الذي فيها وظلم الحشرات، فهذا عمل غير موافق لروح الشريعة الإسلامية، ذلك لان الحشرة إحدى مخلوقات الله، ولها حقها في هذه الحياة، ونبي الله سليمان عليه السلام حينما مرَّ على وادي النمل سمع تلك النملة تقول: **﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**[2]، فسليمان

---

١ . نهج البلاغة (صبحي الصالح)، الخطبة ١٦٧، ص٢٤٢.

٢ . سورة النمل، الآيات (١٨ – ١٩).

النبي عليه السلام كان يريد بيان حقيقة أنه لم يأتِ لكي يظلم أحداً ولا حتى النمل، فالذي يتجنب ظلم النمل فكيف يكون تعامله مع الناس؟ فكان عبداً شكوراً، والشكر يكون بالعدل والإحسان والقسط لكل مخلوق خلقه الله صغيراً أو كبيراً.

وإمامنا علي ابن أبي طالب عليه السلام كان يقول: (**وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُه**)[1].

وربنا يقول في آية كريمة: ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها**﴾[2]، فلا يحق لأحد أن يفسد أي شيء، لا الهواء ولا الارض، ولا ظلم أي كائن خلقه الله.

ويُنقل أن أحد علمائنا السابقين المسمى بالشيخ المجتهدي رحمه الله كان يقول: أنا لا اصلي خلف إمام جماعة يدخّن في الجمع، لأنَّ ضرره يلحق الآخرين، وهذا قد ظلم الناس، وبهذا الظلم خرج عن العدالة.

الايمان واحترام حقوق الناس

كما ونقل لي أحد علماء مشهد قصة عن الشيخ عباس القمي، وقال: كان بعض العلماء يذهبون إلى أحد البساتين التي تقع في أطراف مشهد، وكانوا يقرأون هناك، فأصرّوا ذات يوم على الشيخ عباس القمي أن يذهب

١. شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج١١، ص٢٤.
٢. سورة الأعراف، الآية٥٦.

معهم، فاعتذر لهم بسبب انشغاله بالتأليف، فقالوا له: اجلب معك أدواتك وألّف هناك في البستان، فاستأجر حماراً، وبالفعل أحضر معه كتاب سفينة البحار، وكان كتاباً ضخماً، فأخذه معه، وهو جالس على الحمار يكتب، فنزل عندهم وهم يتحدثون والشيخ يكتب، فقال لهم انتم قد قسّمتم الأعمال فيما بينكم، وأنا ليس لدي أي عمل، وهذا لا يصح، فملعون من ألقى كَلَّه على الناس، فقالوا له: شيخنا انت ضيف علينا اليوم، والأعمال كلها موزعة علينا - وكانوا كلهم علماء أجلاء - فقال لهم: لا يجوز لي ان آكل حتى تعطوني عملاً. فقالوا له: هذا الماء اسقنا، فقبل منهم. فجلسوا فعطش منهم شخص، فقال شيخنا أنا عطشان، فأتى بالماء من النبع فسقاه، ثم الثاني قال: أريد ماء، والثالث والرابع و.. فقالوا له: الأفضل ان تكتب حتى نحصل على الثواب، ودعك من هذه المهمة.

ثم تقدم شخص آخر منهم، وقال للشيخ: قد استعرت منك كتاباً قبل فترة من الزمن وسمعت أنك ستأتي إلى هنا، فأحضرت الكتاب معي، فقدمه له وأخذه الشيخ وجعله مع أمتعته.

وعندما قارب النهار على الانتهاء قاموا من مكانهم عائدين وودع بعضهم البعض، فلما انفصلوا عن الشيخ صار الشيخ يسير على رجليه ويقود الحمار بيده. فرآه فلاحٌ من تلك المنقطة، فذهب إلى الشيخ وسلم عليه وقال: شيخنا جئت راكباً على الحمار والآن ترجع ماشياً، وطريقك بعيد، فلماذا لا تركبه؟ فقال: أنا أمشي والحمار يمشي ولا داعي لأركبه. فقال الفلاح: شيخنا، هذا لا يصح لأنك استأجرت الحمار حتى تركبه. فقال: الحقيقة إنني في الوقت الذي استأجرت فيه الحمار لم يكن هذا الكتاب معي، فأخشى لو ركبت الحمار والكتاب معي عدم رضا صاحب الحمار. فقال:

إسترضيه. فأجاب: فإن لم يرضَ فماذا سأفعل؟

وهكذا فإذا استقر الإيمان في قلب الإنسان حينها لا يتعدى على حق النملة ولا على حقوق الناس، ويحرص على إعطاء الحقوق بأدق ما يكون ويكون حريصاً مهتماً بها، فتكون حياته مليئة بالنقاء والإنصاف، وهذا يعود لتربيته العميقة التي انطلقت من أخلاقه، وأخلاقه انطلقت من بصيرته، وبصيرته ابتنت على إيمانه بيوم سيأتي عليه يحاسَب فيه على كل عمل قام به إن خيراً أو شراً، فإما الثواب وإما العقاب.

وعلى هذه الشاكلة تنتظم حياته، وكل شيء فيها يكون انعكاساً لتلك البصيرة، فمِنْ أكله وشربه ونومه وسلوكياته وأفكاره وكل حركاته وسكناته. والواجبات والمستحبات التي نقرأها ونسمع عنها في الكتب الأخلاقية والتربوية، لعل البعض يستعظمها ويستثقلها، ولكن هذه الواجبات والمستحبات بالنسبة الى المؤمن طبيعية، لأنه كَيَّفَ حياته على أساسها، فهي لم تأتِ وليدة اللحظة، إنما جاءت بانسيابية وتدرج، فيعمل بها لأنها جزء من حياته، ولقد رأينا أناساً كان عندهم تحسس حتى من ارتكاب المكروه، فذات يوم كنت جالساً مع أحد أصدقائي على مائدة الفطور، وكان الفطور خبزاً وجبناً، فامتنع عن أكل الجبن، لأنه يُكره إلا أن يكون مع الجوز، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (**الْجُبْنُ وَالْجَوْزُ إِذَا اجْتَمَعَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شِفَاءٌ، وَإِنِ افْتَرَقَا كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دَاء**)[1].

والخلاصة يجب علينا نحن كعلماء أن ندخل في المجتمع كأصحاب اختصاص في التربية العميقة الجذرية، أي التزكية، وليست التربية بمعنى

١ . الكافي، ج٦، ص٣٤٠.

إعطائهم قائمة بالواجبات والمكروهات والمحرمات، كلا؛ وإنما يجب أن نثير فيهم الحوافز لجعل حياتهم كلها حياة منظمة ومرتبطة برضا الله، والتحدث معهم عن ضرورة الإيمان وعن الاهتمام بالبصيرة، فهذه الأشياء الرئيسية ستدفعهم فيما بعد إلى السؤال عن القضايا التي تأتي بعدها في الأهمية، ذلك لأن الكثير من الناس حينما يسيرون في هذا الطريق تحدث لهم حالة من الحذر من جهة والرغبة من جهة أخرى تجاه الأحكام الشرعية، فيبدأون بالسؤال.

فإذا استطعنا ان نغير بصيرة الناس ونوصلها الى البصيرة الايمانية الحقيقية، وأصلحنا أخلاقهم ومبادئهم وقيمهم، فإن صلاح سلوكياتهم في الواقع سيكون حاصلاً، ونتيجة مترتبة على ذلك بعون الله تعالى.

***

الخطيب وبحر الحسين

أيها الأخوة الخطباء الأفاضل!

أنتم اليوم تمثلون الصديقة الطاهرة سلام الله عليها، وتمثلون الصوت الصادح ليوم عاشوراء، فأنتم حملة الراية الفاطمية الحسينية، وأنتم حينما ترتقون المنابر فإنكم تعملون على إثارة العواطف والاحاسيس، وتأخذون الناس من واقعهم الذي يعيشونه إلى واقع كربلاء وما جرى فيه من مآسٍ وويلات، فتنعشون هذه الذكرى الأليمة وتحيون الذكرى الحسينية في قلوبهم من جديد، لكي تبقى هذه الروح حاضرة في أفق الامة وثقافتها، ولكي تكون هذه الشعلة متقدة مضيئة مستمرة ما بقي الدهر.

ولكننا في كل عصر ومصر، وفي كل بقعة من بقاع البسيطة، لا بد أنْ نبحث عن القضايا الحاسمة والأساسية المطروحة في تلك البقعة، وفي ذلك المصر والعصر، بمعنى أن الحسين عليه السلام مثله كمثل البحر، فهل تستطيع ان تحمل البحر كله معك، أو تعطيه للآخرين؟ كلا؛ انما لك ولي مجرد فرصة ان نغترف غرفة من هذا البحر بقدر امكاناتنا، وبقدر حاجتنا، فكل أمة بحاجة الى الامام الحسين عليه السلام ولكن حاجات الناس مختلفة، وأمراضهم مختلفة، وتحدياتهم مختلفة، فلا بد أن يكون الخطيب مثله كمثل الطبيب أو المفتي، فإذا سألوا المفتي، يأخذ من بحرعلمه غرفة، وحسب المسألة

وحسب الموضوع يعطي الجواب والعلاج لمن يستفتيه، كذلك الطبيب اذا سألوه مسألة في الطب إنما يأتي بعلمه ويختصر هذا العلم فيما يتصل بمشكلة المريض فيعطي الدواء المناسب لذلك المريض.

هكذا هم الخطباء في الأمة، يمثلون جهاز المناعة الذي يحافظ عليها، فإذا وجدوا في الأمة نقصاً أو عجزاً أو مرضاً، فهم يأخذون من شهادة الامام الحسين عليه السلام ما يناسب ذلك النقص أو المرض، ليعالجوه.

***

دور العلماء في مواكبة التغيرات المعاصرة

حينما يكون للعالِم دور وحضور فاعل بين أوساط الناس، فإن هذا العالِم سيكون بطبيعة الحال أقرب الى العلم الحقيقي، والعلم الحقيقي هو العلم النافع، ذلك لأنه سيتعرف على طبيعة المجتمع ومشاكلهم، وما يحتاجونه، وما يعانون منه، وما يواجههم من تحديات، وما يدور على ألسنتهم من أفكار وشبهات، وهذه المعرفة الدقيقة سترسم للعالِم – مهما كان خطيباً أو كاتباً أو مبلغاً – أفقاً واضحاً في المطالعة والتركيز على الأفكار، فيبدأ باختيار العناوين التي يحتاجها، ويكتب فيما يحاكي الواقع، ويتحدث فيما يلامس القلوب.

واليوم أصبحت المجتمعات متواصلة مع بعضها، والشاب الذي نراه في النهار لا نعرف ماذا يفعل في الليل في جهازه اللوحي الصغير؟ وعلى أي موقع من مواقع الأنترنت يدخل؟ ومع مَنْ في مواقع التواصل يتصل؟ وما هي الأفكار التي أثرت عليه وغيّرت قناعته؟ ويوماً بعد يوم صارت هذه الوسائل الحديثة تنتشر كالنار في الهشيم، نحن نعيش في عصر الشبكة العنكبوتية، وشبكات التواصل الاجتماعي، وسائر المجالات الرقمية، وقلّما نجد شخصاً لا يستخدم هذه الوسائل، فأصبح العالم كله يؤثر على بعضه البعض، ومع الأسف فإنَّ التأثير السلبي هو التأثير المهيمن.

وقديماً قرأت عند أول انطلاق لمنصة الفيس بوك أنها استطاعت أن تجتذب ٦٠٠ مليون إنسان! وكان ذلك خلال فترة وجيزة جداً، وطرحت اسمها في ذلك الوقت في السوق التجارية بـ ١٠،٠٠٠ مليون دولار، في الولايات المتحدة الامريكية، وربحت بالمليارات، أما اليوم فإن مقدار الأرباح التي حققتها في الربع الأول من سنة ٢٠٢٢م ما يقارب ٣١١مليون دولار، أما قيمة هذه المنصبة السوقية قدرت في سنة ٢٠١٢م بترليون دولار. فنحن اليوم في عالم عاصف شديد السرعة، إذا غفلنا عنه أصبحنا تحت تأثيره شعرنا أو لم نشعر.

التصدي لرد الشبهات العقائدية

فاليوم نحن مطالبون بفهم عقليات الناس، والشبهات التي تطرح عليهم، وبالذات في البُعد العقائدي، فهناك سهامٌ مسمومة محدَّدة موجهة الى عقائد الناس، فتبيان العقائد وردّ الشبهات أصبح ضرورة ملحّة، بالذات في بعض المناطق في العالم، ولا أريدأن اخوض في هذا الموضوع، لأنه موضوع شائك جدا، فينغبي أن نتحدث بشكل قوي وجاد لكي نبلِّغ أفكارنا وعقائدنا، وهذا بحاجة الى أن يكون العالِم متبحّراً في العقائد ورد الشبهات، وإلا كيف له القدرة على الطرح المؤثر والرد القوي على الشبهات؟

***

التصدي لعلاج الأزمة الأخلاقية والنفسية

أساس بناء المجتمع يعتمد على الأخلاق، فهي تمثل القاعدة الرصينة التي ينطلق منها المجتمع للوصول الى الدرجات العالية من الحضارة والرقي، والنبي ﷺ قد صرّح وبكل وضوح أن هدفه كان مكارم الأخلاق، حيث قال: (**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ اَلْأَخْلاَقِ**)[1] ، فمجتمعنا اليوم بحاجة إلى معالجاتَ أخلاقية جادة وجذرية، فالكذب، وعدم الوفاء بالعهد، والجبن، والازدواجية في الشخصية، وانتهاك حقوق الآخرين، والخيانة، وغيرها من المفاسد الأخلاقية، أصبحت ظاهرة في المجتمع ولها التأثير السلبي الواضح، ولعنة الله على ذلك الطاغية المقبور الذي تسبّب في كل هذه المخلفات والمشاكل والعقد الاخلاقية لدى مجتمعنا.

فهذه الانحرافات لا نستطيع أن نغض الطرف عنها، لما علينا من تكليف شرعي أولاً، ولما فيها من مخاطر اجتماعية كبيرة ثانياً، فلا بد أن نفكر ملياً في كيفية معالجتها، غير أن الحوزات العلمية ينبغي أن تركز على الجانب الأخلاقي في دراستها دراسة عميقة ومعاصرة، وإيجاد الطرق التي تناهض حجم الأزمة الأخلاقية للسيطرة عليها ووضع الحلول المناسبة لها.

---

١ . بحارالانوار، ج٦٨، ص٣٨٢.

الإهتمام بعلم النفس

فيجب أن يكون عالِم الدين مختصاً بما يسمى بـ(**علم النفس الاجتماعي**)، وكذلك (**علم النفس الفردي**)، فمن أوّليّات عمل عالم الدين هو إصلاح الأمراض لدى الناس، والأمراض النفسية اليوم كثيرة ومتزايدة، وذلك بسبب المؤثرات السلبية من جهة، وبسبب التقصير الحاصل من أهل الاختصاص في هذا البُعد من جهة أخرى.

ولمزيد من التوضيح أضرب مثالاً بسيطاً:تم تشكيل لجنة في ايران تهتم بدراسة انتشار مرض السرطان، وكانت هذه اللجنة مؤلَّفة من مجموعة من الأساتذة الجامعيين الذين يبحثون عن أسباب انتشار هذه الآفة الخطيرة. انطلقوا في هذا الميدان ودرسوا وفكروا وتناولوا الموضوع من جميع جوانبه، فوجدوا أن القهر والتوتر والاضطراب تمثل العامل الرئيسي لهذا المرض العضال..!

فتساءلوا: لماذا تضاعف العدد والشعب هو نفس الشعب؟

درسوا الأمر من هذه الزاوية فتوصّلوا الى أنَّ السبب في ذلك حدوث فصل بين الناس وبين علماء الدين! وعلّلوا ذلك أن الناس كانوا في السابق يأتون إلى العلماء، فهذا يشكو همه، وهذا يستشيره في أمره، وهذا يبحث عن حل لمشكلته، وهكذا من يخسر أو يتعرض لصدمة نفسية أو ما شابه من توتر واضطراب يأتي عند العالم فيتحدث معه فيغير من نفسيته، والمراد من العالِم هو الخطيب أو إمام المسجد أو من شابه ممن يقوم بنشاط اجتماعي مع الناس، فإذا تحدث العالِم مع الناس بآية قرآنية أو حديث شريف أو كلمات

طيبة أحدث ذلك تحولاً كبيراً في نفسيتهم، فيعود صاحب الهم إلى بيته مرتاح البال وقلبه بارد. أما الآن ولسبب من الأسباب الموجودة في ايران، سياسية أو غير سياسية، فإن الناس ما عادوا يذهبون الى العلماء، ولذلك ازداد فيهم هذا المرض الخطير!.

فأنتم يا اخواني الخطباء تقومون بدور كبير، وأثركم في النفوس بالغ، وأذكر لكم قصة حدثت معي في هذ الصعيد أيضاً، ذات يوم وأنا أدخل مكاناً رأيت رجلاً فسمعته يقول: لولا الانتحار حرام لكنت قد انتحرت منذ زمن بعيد. والرجل كان متديناً، وهو لا يعرفني، فعلمت أن السيل قد بلغ الزبى في داخله، فجلست معه وتحدثت ببعض الكلمات، وكان حسب علمي أنه رجل كفيف النظر فما رآني، فحينما خرجت قال لصاحبه:ليت الناس كلهم مثل هذا السيد، أدخل على قلبي السرور والراحة. وأنا في وقتها قلت له: أنت لست أول شخص تصاب في هذه الدنيا، ولن تكون الأخير، وحدثته عن الابتلاء وآفاقه فهدأت نفسه.

فعالِم الدين بكلمة من فوق المنبر، أو من بين الناس، يستطيع أن يغير حالة الفرد من حال إلى حال، وهذا دور عظيم.

وقبل برهة من الزمن رأينا كيف أن مدير شرطة هولندا يقول:أنا أمد يد العجز الى علماء المسلمين وعلماء الأديان الأخرى ليساعدونا في تخفيف الجريمة، لأننا نحن كشرطة عجزنا عن ذلك. وكذلك المدعي العام الأمريكي تحدث بذات الطريقة بالنسبة الى الشعب الأمريكي، حيث كان يقول: نحن كقضاء عجزنا سنة بعد سنة عن السيطرة، فالجريمة تزداد يوماً بعد يوم، فالوحيد الذي يستطيع أن يوقف الجرائم هم علماء الدين.وهذا كلام دقيق، وقد خرج ممن يعتبرون أنفسهم متقدمين، ودلائل هذا الكلام

واضحة ولا تخفى على أحد.

فاليوم ينبغي على جميع علماء الدين في العراق أن لا يكونوا منعزلين عن المجتمع، فيجب أن يدخلوا في كل ميدان وفي كل مكان، وأن يكونوا أصحاب القدم السباقة لكل موقف ولكل قضية تتطلب منهم الحضور، وإذا وقف أحد بوجهكم ومنعكم من الدخول فقولوا له من أنت؟ وما شأنك؟ هل أنت من بقايا النظام البائد؟ فلا يجوز لك أن توقفني، ذلك لأن عالم الدين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع، وهو الذي يشرف على دينهم وأخلاقهم وعقائدهم ويتصدى لكل ما يؤثر عليهم سلباً، فإذا جلس مكتوف الأيدي فهذه خطيئة كبيرة قد جناها على نفسه.

فعلماء الدين اليوم يجب أن يدخلوا في الجامعات، ويدخلوا في المدارس الثانوية، ويدخلوا في الإدارات، وإذا رأى مشكلة معينة فيكون هو المبادر إلى حلها، ولا يقول ما شأني؟ فهذا هو الدور المطلوب من عالم الدين.

ولذلك نحن ينبغي ان نكون متفاعلين مع المجتمع حتى يتفاعل المجتمع ليس معنا فحسب، وإنما مع الدين أيضاً، حتى يعرف أن الدين هو الخلاص والنجاة وهو الأمل الأخير في الخلاص من كل أزمة وتخلف.

***

الفصل الثالث

توصيات

أولاً: شخصية الخطيب الحسيني

وصايا في طلب العلم

الوصية الأولى: العلم ميراث قيام الليل

يتصور الكثير من طلبة العلم أن العلم يتم الحصول عليه في النهار وعبر الطريقة المعتادة، ولكن هذا التصور ليس كل الحقيقة، نعم ربما يحصل على بعضٍ من العلم، ولكن العلم الحقيقي إنما هو حصيلة الليل لا حصيلة النهار، وربنا سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾[1] فالفكرة والبصيرة التي يلهمها الله تعالى لنا وينعم بها علينا في الليل غير التي تأتي في النهار، واذا كانت صلاة الليل واجبة على رسولنا الاكرم دون الخلق اجمعين فلأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وُعِد من قبل الله أن يرفعه مقاما محمودا، أما نحن فيمكن لنا أن ندرك ونحصل على بعض درجات هذا المقام المحمود وذلك بقيام الليل.

حينما يقوم الانسان ويتهجد في الليل المظلم فإن قلبه سيُصفّى من الأحقاد والضغائن والهموم التي تراكمت عليه في النهار، ومن ثم حينما يتوجه الى العلم يتوجه الى المسائل الغامضة التي كان في النهار قد حصل عليها ولم يفهم عمقها واحتار فيها، هذه المسائل في تلك اللحظات، لحظات القرب، لحظات الجذب، تتغير نظرته لها فيرى حلولها عبر البصيرة الإلهية والصفاء الروحي.

---

١ . سورة المزمل، الاية٦.

ألا ترى أن علماءَنا الكرام، كمثل العلامة الحلي والسيد محمد مهدي بحر العلوم والفاضل الهندي وآخرين، قد بلغوا مراتب عالية من العلم وهم لا يزالون في ريعان الشباب؟ ألم تسأل لماذا؟ لان العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فيأتي من الغيب ويأتي بصورة إلهامات، وبصورة نكات في القلب، والتهجد في الأسحار وقيام الليل يجعلك أمام هذه الاستحقاقات.

الوصية الثانية: مصادر العلم وروافده

يجب أن نأخذ العلم من الرجال، فكما جاء في الحديث الشريف: (**خُذِ الْعِلْمَ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ**)[1] فالذين نأخذ العلم منهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم الأئمة المعصومون عليهم السلام، واذا رأيت أن الحوزات العلمية تتشكل عادة حول مراقد أهل البيت عليهم السلام في النجف الاشرف، وفي كربلاء المقدسة، وفي قم المشرفة، وفي مشهد المقدسة، فلأن الأمر فيه ألطاف إلهية ومميزات في اكتساب العلم الحقيقي، فإذا أشكلت مسألة ذهب العالِم الى مرقد الإمام ودعا الله سبحانه وتعالى، وتوسل بالإمام وهو باب الله، فيخرج وإذا به يجد آفاقاً جديدة تفتحت أمامه.والمعلمون الأساسيون لنا هم النبي وأهل بيته عليهم السلام، وأما هذا المعلم المباشر فهو سبب ووسيلة وطريق الى ذلك النور.

ولاريب إخواني إنَّ العلاقة مع ولي الله الأعظم الحجة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه، إنما هي علاقة وثيقة، ذلك لأننا نحن نعتبر أنفسنا جنوداً له وممهّدين لظهوره، فلا بد أن تكون هذه العلاقة مستمرة، وهذه العلاقة

١ . تحرير الأحكام، العلامة الحلي، ج١، ص٣٩.

تتمثل تارة بزيارته ومناجاته وقراءة الأدعية الواردة في تعجيل فرجه كدعاء العهد والندبة، كما وتحصل هذه العلاقة بالتوجه إليه في المشاكل الحساسة وما أشبه ذلك، فنكون على علاقة وثيقة به من خلال الدعاء والتوسل، وهو الحجة علينا والمسدِّد لخطانا في هذا المسير المبارك.

الوصية الثالثة: العلم مقدمة للعمل

نحن نعلم لكي نعمل، فالعلم مقدمة للعمل، وكما ورد في الحدث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام فانَّ: (**الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ**)[1].

فإذا كان العلم وسيلة للعمل، فما المراد بالعمل؟

العمل هو إصلاح المجتمع من بعد اصلاح النفس، وهذه رسالة الانبياء، ورسالة الإمام الحسين عليه السلام حينما قال (**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي**)[2]، من هنا فإنَّ على عالمِ الدين اليوم أنْ يتواصل مع الناس ويتفاعل معهم، ويكون حاضراً في عمق المجتمع، وأن يكون على دراية بمشاكلهم، ويحاول بشتى الوسائل حل هذه المشاكل، ويحاول بشتى الوسائل التعرف على العقد الدقيقة في المجتمع ليقدم لها الحلول الناجعة وبالطريقة الملائمة، وعلى كافة أصعدة الحياة، كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم السلام، وهم قدواتنا وعلى نهجم نسير.

---

١. الكافي، ج١، ص٤٤.

٢. بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

بين الدراسة والعمل التبليغي

أوّل وأهم أهداف العالِم الديني يتمثل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتوجه المؤمنون صوب التفقه بالدين إلا من أجل توفير الشروط اللازمة للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس العكس، حيث البعض من الناس يجعل من الدراسة هدفاً، وإذا بالسنين تمضي واحدة بعد الأخرى عليه وهو يدرس، حتى يتجاوز العشرة سنوات والعشرين سنة في الدرس..! ولهؤلاء أقول: لقد ظهر الشيب في رؤوسكم ولا زلتم تدرسون..!ليس الدرس إلا مقدمة لهدف أسمى وأعلى، فربنا تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[1]، فالإنذار هو هدف التفقّه وطلب العلم.

وحينما كانت الأمة تجسِّد هذه الآية وتعمل بها كانت بخير، ذلك لأن طلائع الأمة وصفوتها من النفوس الطيبة كانت تحمل الراية، وكان الهدف الرئيسي والأساسي لها هو إصلاح المجتمع، ذلك لأن المجتمع بلا مصلحين وبلا منهج إصلاحي، سيكون مصيره إلى الانهيار والتحطم، وسيكون نهزة كل طامع وفاسد.

---

١ . سورة التوبة، آية ١٢٢.

وإمامنا أبو عبد الله الحسين عليه السلام، استطاع بثورته أن يرفع راية الإصلاح من جديد، ويحيي دين جده بعد أن دسّوه تحت التراب، ومن ثم تحولت قضية الإصلاح الى سُنّة متَّبعة، وليس حرفة مستغلة من قبل أصحاب المصالح، وتحولت فيما بعد الى مسيرة ممتدة عبر السنين وإلى يومنا هذا.

فكل من يسير بهذا النهج يكون قد جنّد نفسه وعرّضها للمشاكل والمتاعب من أجل قيام الدين، وإن هذه أسمى غاية وأشرف مسيرة على مر التاريخ ومنذ أن خلق الله البشر.

واليوم نحن نشهد تطور تلك الحركة حتى صارت شعائر ممتدة في كل العالم، بل وتزداد نظارة وقوة يوماً بعد يوم، وهذه المسيرة هي تطور لحركة **(أولوا بقية)** التي ابتدأها الحسين عليه السلام والذين من بعده إلى يومنا هذا، وإنه لنوع من التكامل الذي جرى في التاريخ حتى الحاضر.

وكلما حاول العدو أن يستحدث أساليب جديدة لنشر الفساد، فإن **(أولوا بقية)** الذين ينهون عن الفساد يستحدثون أساليب جديدة لمقاومتهم وردعهم من ناحية، والحفاظ على الأمة من ناحية أخرى.

***

التجمع الحوزوي ضمان استقامة المبلغ

كل إنسان حينما يلتقي بصاحبه فإنه بقدر ما يعطيه يأخذ منه، وهذه طبيعة الإنسان، بحيث يتكيف مع المحيط الذي يكون فيه، فكيف نستطيع أن نكون في المجتمع فنؤثر فيهم ولا نتأثر، نعطيهم ولا نأخذ منهم؟

إنما نستطيع ذلك إذا كانت لدينا مرجعية اجتماعية رصينة وتجمع إيماني حيوي، فحينما يجتمع طلاب الحوزة مع بعضهم البعض يكون ذلك قوة لهم ومنطلقاً إلى المجتمع وتغييره من دون التأثر به وبسلبياته، ذلك لأن كل واحد منهم يتغير ويتكيف مع تجمعه وليس مع الناس العاديين، مع الحوزة الرسالية التي ينتمي إليها، والمرجعية الدينية التي ينطلق منها، ومع المجموعة الخاصة التي يتواصل معها، وهذه قضية غاية في الأهمية.

وبذلك يكون التجمع الحوزوي هو مرجعيتنا في العمل الرسالي التبليغي، فيكون كلٌّ منّا رفيقاً للآخر وناصحاً له، فتتم ضمن هذا التجمع الواجبات الدينية على وجهها الناصع، كالتواصي والتشاور والتعاون.

أتذكّر جيداً أيام الدراسة الحوزوية في كربلاء المقدسة، كان طلاب العلوم الدينية والعلماء، يقضون الكثير من الوقت في الحوزة، ولا زلت أذكر ذلك العالِم الذي كان يأتي إلى الحوزة قُبيل الفجر فيصلي فيها ثم يبدأ نشاطه العلمي طوال النهار وهو في الحوزة، وحتى وقت الراحة عصراً كان

أغلب الطلاب يقضونه في الحوزة أيضاً، وفي الليل والى ساعة متأخرة كانوا يجلسون في المدرسة ويستأنسون فيما بينهم بالمذاكرة والمباحثة والأحاديث الإيمانية البليغة، فكانوا يتوقون إلى المدرسة أكثر بكثير من البيت، وفيما بينهم كانت حبائل المودة والاندماج واضحة، وكان الواحد منهم يوصي الثاني بالشكل اللطيف الذي لا تشنج فيه ولا جرح للمشاعر.

إنَّ هذا التكتل الايماني القوي يستطيع ان يقوم بدور رئيسي في إصلاح المجتمع، ونحن نأمل أن تكون هذه الحالة هي السائدة اليوم في حوزاتنا، وإلّا فإن الحوزات لا تستطيع أن تؤدي دورها بالكامل، فالدراسة والتعلم يؤديان نصف الدور، والتكامل فيما بين أفرادها وخلق هذا التجمع الفاعل هو النصف الآخر، وبه تكتمل الروح لينطلق العاملون في المجتمع حاملين معهم هذه الروح الوثابة المؤثرة والمغيرة للنفوس، فيكون ذلك ضمان الإستقامة في المسيرة التبليغية الشاقة في الأمة.

***

لنسلتهم روح التضحية من الحسين ع

إنَّ البشر يخافون الموت ويتمنون العيش الطويل، ولو عاد الأمر إليهم لكانت أمنية كل واحد منهم أن يعيش ألف سنة، فلا أحد منهم يفضل الموت على الحياة، أو التصدي والجهاد على الراحة والاستكانة، فهذه هي طبيعة النفس البشرية، والأمة الإسلامية هي جزء من البشرية، فمن الذي يوقظهم من سباتهم العميق، ويعلمهم أن شجرة الدين بحاجة إلى أن تُسقى من جديد، لتحيا مرة أخرى وتتصل بنبعها الأصيل؟

مَن الذي يعلمهم أنه في سبيل تحقيق الأهداف العليا للأمة الإسلامية يجب أنْ نرخص كل غالٍ ونفيس؟ فلا مركز ولا مكانة ولا أية مصلحة شخصية، كل هذه يجب أن تهون وتقدم في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله في الارض، وأن تكون ثقافة الحق والعدل هي الثقافة المهيمنة والحاكمة.

مَن المربّي والمعلم لهذه الأمة لتحقيق هذه الغايات السامية؟

إنَّ الامام الحسين عليه السلام هو الذي قام بهذا الدور، وهو الذي قال في بعض كلماته: **(إِذَا أَقَمْتُ بِمَكَانِي فَبِمَا ذَا يُبْتَلَى هَذَا الْخُلْقُ)**[1] . فهو الإمام والحجة على الناس، وكان لزاماً عليه القيام لكي يتم الله به الحجة على الناس، ليس لأهل الكوفة وبني أسد وكربلاء فحسب، وإنما للتاريخ كله.

---

١ . بحار الانوار، ج٤٤، ص٣٣١.

الحسين .. ذلك المعلّم الملهِم

وبالفعل فقد نهض الإمام الحسين عليه السلام وأصبح المنار والحجة البالغة على الخلق، لمن كان في تلك البرهة الزمنية ولكل من جاء بعد تلك الحقبة وإلى يومنا هذا، وسيبقى الإمام الحسين عليه السلام ذلك المشعل والعَلَم المرفوع والمعلِّم والمُلهِم لكل حركة نهضوية على مر التاريخ، يعلِّم الأجيال كيف يتصدون لكل طاغية ولكل حكم جائر، فيرخصون دماءَهم في سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق.

وقد رأيتم كيف أن الشعب العراقي استجابوا لنداء الجهاد وصاروا يتسابقون الى الجبهات ويبحثون عن الشهادة عندما داهمهم خطر الارهاب الداعشي، ومن قبل نهض سائر الشعوب الموالية لأهل البيت عليهم السلام سواء في ايران او لبنان أو اليمن أو سوريا، وفي سائر المناطق الأخرى، إنَّ هذه الروح إنما هي من نهضة أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وتأثرهم بها، فذلك اليوم العظيم خط في التاريخ خطاً لا ينتهي، وروحاً لا تنطفئ.

الدفاع عن الدين واجب الجميع

فعلى كل مسلم اليوم، وعلى كل شاب بالخصوص، أن يهيّء نفسه دوماً للدفاع عن الدين، فإذا أراد الشاب اليوم أن يصبح طبيباً فهذا طموح جيد، ولنحفزه ونشجعه للوصول الى ما يريد، ولكن ليس من أجل أن يحصل على لقمة العيش والسكن والسيارة وما شابه من أمور العيش، فهذا ليس هدفاً مقدساً، وليس هدفاً للشخص الرسالي والموالي الذي يقول أنا حسيني

وعلوي وفاطمي، كلا؛ إنما يجب أن يطمح للحصول على الشهادة الطبية بل والتخصص في أعلى المستويات من أجل أن يدافع عن دينه وأمته، فليس بالضرورة أن يكون الجهاد بالسلاح والحرب، إنما هذه المهنة هي سلاحه وجهاده، وبها يخدم الأمة، فيكون لهم نعم الطبيب ونعم الأخ الناصح، كل ذلك في سبيل الله وفي سبيل انتصار القيم الاجتماعية الراقية التي جاء بها الإسلام، على القيم المصلحية الفاسدة في المجتمع.

وكذلك المهندس والخبير في الشؤون السياسية، والتاجر، فكل واحد من مكانه وتخصصه يخدم المجتمع ويجاهد في سبيل الله، فكم من تاجر منذ اليوم الأول أخلص نيته وطلب من الله قائلاً: الهي اعطني المال لكي أخدم به عبادك وأصون به وجهي ووجه الدين. و(**نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللهِ الْغِنَى**)[1] . كما ورد في الحديث الشريف.

وهكذا عالِم الدين، فمن الخطأ الكبير أن يكون هدفه الوصول الى رتبة عالية من العلم لكي يكون محترماً بين الناس، وصورته توزع هنا وهناك! وكلماته تتناقلها الألسن، ليس الامر هكذا، إنما هذه أهداف رخيصة وبعيدة عن الإخلاص، فعالِم الدين يتعلم من أجل ان يوجه الناس الى الدين، ويكون المقدام الأول في التضحية، ومتى ما تطلَّب الأمر، وكيفما كان.

هناك كلمة قالها أحد العلماء في ايران يدعى السيد يونس الاردبيلي كان في مشهد الرضا فاخذه الطاغية في العهد الملكي الغابر وقال له: أصدر فتوى لجواز كشف المرأة حجابها عن رأسها. يريد بذلك إجبار النساء على التبرج.

فقال له: لا أفتي.

---

١ . الكافي، ج٥، ص٧١.

فقال: أقتلك.

فأجابه: أنا لو أعطي فتوى من أجل الحفاظ على رقبتي، فماذا أقول للإمام الحسين عليه السلام إذا قال لي: لماذا أعطيت هذه الفتوى؟

فإن قلتُ له: لكي أحافظ على حياتي.

فيقول لي: دمي أغلا أم دمك؟

فأنا رخصت دمي في سبيل الله، ومن أجل الحفاظ على حدوده، فماذا عنك أنت؟

فأنا لا أعطي الفتوى، ولتفعل ما تفعل. وبهذا الموقف الشامخ المليء بدروس التضحية صان حجاب المرأة في ايران وإلى الآن.

نهج الحسين والنهوض في وجه الطغاة

وأكثر الذين نهضوا وحملوا الراية ووقفوا بوجه الطغاة والمتمردين تجدهم قد اتبعوا نهج الامام الحسين عليه السلام، وهذا نجده على مر السنين التي جرت بعد حادثة عاشوراء، وقد سألني ذات يوم أحد المراسلين الأجانب قائلاً: العجب منكم أنتم علماء الشيعة، إنكم تقاومون الظلمة وتثورون وتدافعون عن الدين، وغيركم أقل منكم نهوضاً، وربما لا يفعل ذلك، لماذا؟

قلت له: ماذا تقول أنت ما هو السبب؟

قال: نظام الخمس عندكم هو الذي جعلكم تستقلون عن الدولة، وبذلك تكون لكم القدرة على مقاومتها إن كانت ظالمة، بينما الآخرون ليس لديهم هذه الفريضة فيضطرون أن يكونوا موظفين لدى الدولة الظالمة.

فقلت له: ليس ذلك فقط، إنما سر قوتنا يكمن في قضية أخرى مختلفة عن هذه تماماً، فمنذ اليوم الأول حينما يدخل الطالب إلى الحوزة العلمية ويبدأ بالدراسة، يتوجه – في الوقت نفسه – إلى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الطاهرين، فيضعهم أمام عينه قدوة وأسوة له، والشعار الذي يردده على لسانه دوماً (**لبيك يا حسين**)، و(**يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً**)، وتكون في قلبه حرارة ولهفة نابعة من تضحيات سيد الشهداء عليه السلام، فهذه الكلمات وهذه الروح هي التي جعلتنا نستقل ونقدرعلى مقاومة أكبر قوة ظالمة، فالذي لا يخاف من الموت، فمن أي شيء آخر يخاف؟

إنَّ الدرس الذي لا بد أن نتعلمه من كربلاء ومن علمائنا ومن سلفنا الصالح، هو درس التصدي، فيكون الحامل لراية أبي عبد الله الحسين عليه السلام منا متصدياً، عملاً بتكليفه ومسؤوليته، فيكون كما النور الذي يجب أن يطرد الظلام مهما خيم، وكما الظل الذي لا بد أن يأتي وإن طال الحرور، متوجهين في ذلك إلى الامام الحسين في كربلاء حينما قال: (**أَ مَا مِنْ مُغِيثٍ يُغِيثُنَا لِوَجْهِ اللهَّ؟ أَ مَا مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهَّ؟**)[1] . فهذه الكلمة لم تكن موجهة الى من كان هناك في كربلاء فقط، وإنما هي موجهة لكل من يسمعها على مر الأيام فيستجيب له ويكون في خط نصرته، ولذلك نحن نقول عند زيارته: لبيك داعي الله.ومعنى هذه التلبية أنك تقول لسيد الشهداء: سيدي أنا لم أكن حاضراً لأنصرك عند استغاثتك، ولكني اليوم سأقوم بالدور الذي ينبغي أن أقوم به. وهذه هي رسالة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ورسالة عاشوراء.

---

١ . بحار الانوار، ج٤٥، ص١٢.

ثانياً: المنبر الحسيني

مسؤولية المنبر وحمل راية عاشوراء

حينما ينطق أحدنا عن السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعن نهضته لا بد أن يعرف أنه لا ينطق عن شخص عادي وحادثة عابرة، بل هو ينطق عن أمر عظيم وقضية كبرى لم يشهد التاريخ مثيلاً لهما، وينطق عن أناس لم يكن في التاريخ شبيه لهم، فلو افترضنا انه نطق عن أصحاب الحسين عليه السلام وليس عن شخص الحسين عليه السلام، ولا عن اهل بيته، فإن أصحابه هم الذين قال فيهم ابو عبد الله الحسين عليه السلام: **(فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي)**[1] فالقضية إذاً ليست بسيطة .

فهذا سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام حينما يقع حبيب بن مظاهر الأسدي على الأرض في المعركة يذهب إليه ويجلس عند جسده ويخاطبه فيقول له: **(يرحمك الله يا حبيب، لقد كنت تختم القرآن في ليلة واحدة وأنت فاضل)**[2] وهذه شهادة ابن بنت رسول الله إمام العصمة في حقه، وما أدراك ما حبيب، هذا الصحابي الجليل الذي صحب رسول الله وصحب علياً وصحب الحسن واستشهد بين يدي أبي عبد الله عليه السلام.

فحينما تكون في خدمة حبيب ابن مظاهر، او في خدمة ابن عوسجة، او

---

١ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج٢، ص٩١.

٢ . ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج٣، ص٧١.

غيرهما من الانصار، لا بد أن تتمثل دوراً منهم ولو كان دوراً بسيطاً، ولو مستوى من مستوياتهم، ولو صفة من صفاتهم، لنكون سباقين في الاقتداء بهم، وليكون كلامنا مؤثراً في الناس، ولنكون عاملين بالقول الذي نقوله ونتحدث به.

والتحدث عن هذه القضية الكبيرة من المنبر الحسيني يستلزم أن يكون الخطيب ممتثلاً لهذا النهج وما فيه من قيم الاستقامة والاستطالة على الظروف والعقبات والمخاوف، وليس المنبر مكاناً لأصحاب الإرادة الضعيفة والعزيمة الخائرة، وربنا سبحانه وتعالى يحدثنا في سورة الأحزاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمّن حمل رايته ومشى على دربه قائلاً: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهَّ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَّ وَكَفَى بِاللهَّ حَسِيباً**﴾ فهذه هي صفة أولياء الله والمبلغين لرسالاته والدعاة إلى طاعته.

يُنقل أن أحد الخطباء الكبار - وكان مرجعاً للتقليد أيضاً - كانوا يقولون له: شيخنا الكريم! حينما تصعد المنبر لماذا لا تلتفت الى الناس، ولا تراعي شعورهم؟ فقال لهم: أنا تحت المنبر واحدٌ منكم، ولكن اذا صعدت المنبر فأنا أتحدث عن قضية أخرى، ففي تلك اللحظات أتحول إلى شخص آخر، فأكون مسؤولاً أمام كلمتي، فلا بد أن تكون كلمتي كلمة صادقة وناطقة عن الحق، وكلمة الحق أقولها ولا أخشى أحداً الا الله، ﴿**وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَّ**﴾، فمَن الذي يحاسبني؟ ومَن الذي يعرف دواخل ضميري؟ ومَن الذي يراقب وساوس نفسي؟ ومَن هو الأقرب إليَّ من حبل الوريد؟ أليس هو الله تعالى؟ وهو الذي يقول ﴿**وَكَفَى بِاللهَّ حَسِيباً**﴾[1]،

١ . سورة الاحزاب، الاية٣٩.

كفى برب العزة حسيبا ومحاسبا ومراقبا على أنني هل أخشى أو أراعي في كلمتي أحداً؟ أم أنني أقول كلمتي لله وفي الله ومن أجل الحق؟

مسؤولية الكلمة الصادقة

إذا كان أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء حملوا الرماح والسيوف، وعرّضوا أجسادهم للأسنة والسهام، فإن الخطيب يقوم بذات الدور حينما يرتقي المنبر، ولكن ليس بالسيف ولا بالسنان والرماح والسهام، وانما بالكلمة الصادقة، فرب كلمة صادقة أمضى من سيف صارم، لماذا؟ لان الكلمة الصادقة تنفذ إلى القلب وتحاكي الأرواح، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**)[1] ولو أننا التزمنا بهذا الدور بالشكل المطلوب فإن الامور لم تكن لتصل الى ما وصلت اليه في مجتمعاتنا الإسلامية، فهذا يراعي جانباً وآخر يراعي جانباً مختلفاً، وإذا بك تجد أن كل واحد يحدد خطابته حسب الظروف التي تحيط به، وفي هذا الحال لا يكون الخطيب مؤدياً للدور المطلوب، إنما ينبغي أن يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهَّ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَّ وَكَفَى بِاللهَّ حَسِيباً**﴾، ليكون المنبر مهيمناً على سائر متطلبات المرحلة وتحدياتها، ومتجاوزاً كل المصالح والمصاعب.

وثمة كلمة مهمة؛ نحن نستقبل في كل عام شهر محرم الحرام، هذا الشهر الذي أخذ قدسيته من شهادة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، نستقبله ونحن نمثل ورثة ذلك الدم المظلوم الذي أريق في كربلاء، إننا نحمل تلك الراية

١ . عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج١، ص: ٤٣٢.

مسؤولية الخطيب عن كل ما يقول

لا يحق للخطيب وهو على المنبر أن يتكلم بكل ما يحلو له، أو أن يتحدث من منطلق العصبية والحمية بسبب ما يسمعه أو يقرأه، وربما جاءه تقرير من قريب أو بعيد فيثير فيه جانباً دينياً بينما تكمن وراءه شيطنة خبيثة، فعلى الخطيب أن يتثبت ويتأكد من كل ما يقرأه أو يسمعه، لأن الله تعالى يحاسب الإنسان على كل كلمة ينطقها، وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾[1].

وهذا نبي الله داود عليه السلام وهو من أنبياء الله العظام، امتحنه الله برجلين تسلقا المحراب وطرحا عليه دعوى، أحدهما قال أنا عندي نعجة واحدة، وأخي له تسعة وتسعون نعجة، ويريد أن يضم نعجتي الى نعاجه. فأجاب النبي عليه السلام: هذا ليس صحيحاً وإن الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا صالحاً.

وإذا بهم يكشفون له عن الامتحان الذي تعرض له، فقالوا له: نحن ملائكة أرسلنا الله إليك لنرى: كيف حكمت؟ وإذا بداود عليه السلام يدعو الله ويركع ويسجد، فأوحى الله تعالى إليه: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي**

---

١ . سورة الاسراء، آية ٣٦.

الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1].

وهكذا على الخطيب أن ينتبه، لا أن يندفع بمجرد سماعه لأدنى كلام أو قراءته لأي تقرير، وإذا به يذهب على المنبر ويتحدث، أو يحرك قلمه بما تشتهي أهواؤه.

وفي هذا السياق حدثت قصة في زمن الميرزا الشيرازي، حيث جاء عنده أحد رجالات الدين المعممين طالباً منه وكالة واعتمادية، ليكون معتمداً له في منطقته، ولكن الميرزا كان يمتنع في كل مرة، لأنه لم يكن لديه ثقة كاملة به. ولكن الرجل لم يرتدع، فقام بتوسيط هذا والتحدث مع ذاك حتى جاؤوا جماعة وضغطوا على السيد، فرأى السيد من الناحية الشرعية يحق له أن يعطيه وكالة واعتمادية، لأن أشخاصاً عدول شهدوا له.

ولكنه ما أن حصل على الاعتمادية حتى صار يعمل أعمالاً لا تتناسب مع مقام الوكيل، فكان – على سبيل المثال – يسرف في أكله وشربه وزخارف الدنيا، وإذا بالجماعة الذين شهدوا له ذاتهم جاؤوا عند السيد وقالوا له سيدنا نرجو أن تسحب الاعتمادية من هذا الرجل. وإذا بالميرزا يمتنع عن سحب الاعتمادية..! لماذا؟!

قال: أنا أعطيته اعتمادية وهو رجل شريف في قومه، والاعتمادية ما زادته إلا قليلاً في قومه وفي المجتمع، ولكن إذا أخذت الاعتمادية منه فانه سوف يسقط إلى الأرض، لأن الناس سيقولون ماذا فعل هذا حتى يسحب المرجع الوكالة منه، فلا يجوز لي أن أفعل ذلك، لأنني إن فعلت ذلك أكون قد

---

١ . سورة ص، آية ٢٦.

أخذت منه أكثر مما أعطيته.

انظروا اخواني الى حجم التعقل والحكمة التي كانت لدى علمائنا، وكيفية إدارتهم للأمور، وعشرات القصص الأخرى تهدينا إلى أن مراجعنا وعلماءنا كانوا قبان الميزان، فعلى مر التاريخ كانوا يحافظون على توازن المجتمع، ولا يسعني الكلام في هذا الموضوع لأنه كلام خاص أولاً، وثانياً الحديث فيه يطول لأنه مرتبط بجوانب كثيرة.

فالفقهاء كانوا يتصرفون بحكمة وبصيرة، فلا يتدخلون في أمور لا تخصهم، ولا يتدخلون في الخلافات، وإنما كانوا يحاولون دائماً ترميم العلاقات بين الناس بطريقة أو بأخرى، والحكمة دليلهم في هذا المسار، أنتم كذلك تأخذون الحيطة والحذر من كل كلمة تقولونها، وتنظرون في عواقب الأمور، لكي يكون كلامكم دواء للناس وتبصرة وهداية، بعيداً عن كل ما يمزق لحمة المجتمع أو يفرق الصفوف، أو يثير الموجات السلبية التي تهدم كيان المجتمع الواحد.

***

الفهرس

المقدمة ٧

الفصل الأول: رؤى في مسيرة الخطابة الحسينية

من أجل هذه الأهداف خرج الحسين عليه السلام ١١

عاشوراء رسالة العلماء ١٤

أولوا بقية يصلحون شؤون الأمة ٢٢

الدور المطلوب من خطباء المنبر الحسيني ٣٠

الحركات الرسالية امتداد واقعة الطف ٣٥

الخطباء لسان العلماء ٣٨

ترسيخ المبادى الحسينية مسؤولية من؟ ٤٠

الفصل الثاني: الخطيب أدوار ومسؤوليات

اولاً: قضية عاشوراء ٤٥

عظمة يوم عاشوراء ٤٥

ذكرى عاشوراء تشعل القلوب بلهيبها ٥١

الخطباء.. واستمرار وهج عاشوراء ٥٢

قضية الحسين عليه السلام بين القشور واللباب ٥٨

دور المبلغين والعلماء في شعيرة ٦١

من أجل هذه الأهداف خرج الحسين عليه السلام ١١
عاشوراء رسالة العلماء ١٤
أولوا بقية يصلحون شؤون الأمة ٢٢
الدور المطلوب من خطباء المنبر الحسيني ٣٠
الحركات الرسالية امتداد واقعة الطف ٣٥
الخطباء لسان العلماء ٣٨
ترسيخ المبادى الحسينية مسؤولية من؟ ٤٠

الفصل الثالث: توصيات

اولاً: قضية عاشوراء ٤٥
عظمة يوم عاشوراء..... ٤٥
ذكرى عاشوراء تشعل القلوب بلهيبها..... ٥١
الخطباء.. واستمرار وهج عاشوراء ٥٢
قضية الحسين عليه السلام بين القشور واللباب ٥٨
دور المبلغين والعلماء في شعيرة ٦١
ثانياً: بناء المجتمع الإسلامي ٦٩
الخطيب الحسيني ومسوؤلية التغير ٦٩
التغيير الجذري ٧٧
الخطيب و بحر الحسين عليه السلام ٨٧
دور العلماء في مواكبة التغيرات المعاصرة ٨٩
التصدي لعلاج الازمات الاخلاقية والنفسية ٩١

أولاً: شخصية الخطيب الحسيني ٩٧
وصايا في طلب العلم ٩٧
بين الدراسة والعمل التبليغي ١٠١
التجمع الحوزوي ضمان استقامة المبلغ ١٠٣
لنستلهم روح التضحية من الحسين عليه السلام ١٠٥
ثانياً: المنبر الحسيني ١١٣
مسؤولية المنبر وحمل راية عاشوراء ١١٧

تم بحمد الله تعالى